سفرة إلى

تاجيكستان

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

سَفْرة إلى تاجيكستان

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies
https://dawa.center

ⓒ دار الثلوثية للنشر ، ١٤٣٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد ناصر

سفرة إلى طاجيكستان / محمد ناصر العبودي - الرياض ، ١٤٣٣هـ

١٩٢ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٩-٥-٩٠٣٠٩-٦٠٣-٩٧٨

١- طاجيكستان - وصف ورحلات أ- العنوان

ديوي ٩١٠,٤ ١٤٣٣/٥٧٤٧

رقم الايداع: ١٤٣٣/٥٧٤٧

ردمك: ٩-٥-٩٠٣٠٩-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ / ٢٠١٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- طبع بيروت، دار الثقافة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا- الرياض، دار العلوم، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين- الرياض، النادي الأدبي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي- الرياض، المطابع الأهلية للأوفست، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان- الرياض، جمعية الثقافة والفنون، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- نشرته دار العلوم في الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين- نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي- مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية- طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست، عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين- الرياض، المطابع الأهلية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال- رحلة وحديث في شؤون المسلمين- الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى- المطابع الأهلية للأوفست في الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي- الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل- نشره النادي الأدبي في أبها، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الأنديز- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر- طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨) بقية الحديث عن إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي- مطابع الرياض الأهلية للأوفست، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض،١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٥) جمهورية أذربيجان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية- نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بين الأرغواي والبارغواي- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان- طبع ببيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال- طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) في جنوب الصين- طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) كنت في ألبانيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في إفريقية- محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكري- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القريم- نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجريا (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان- نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية- نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غينيا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) إطلالة على أستراليا- طبع في مطابع التقنية للأوفست- الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا – نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور- مطابع النرجس التجارية، الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك (من سلسلة الرحلات الهندية) مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) العودة إلى الصين (من سلسلة الرحلات الصينية) طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) في شرق البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية- طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٩هـ.

(٦١) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي (من سلسلة الرحلات القوقازية) طبع في مطابع التقنية للأوفست، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٢) بلاد التتار والبلغار (من سلسلة رحلات الشمال) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٣) بلاد الشركس: الإديغي- طبع مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٤) مواطن إسلامية ضائعة- مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٥) تائه في تاهيتي- طبعته مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠ هـ.

(٦٦) نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفيتي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٨) نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي، طبع في مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٩) إقليما سمارا وأستراخان (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا)، نشرته دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٧٠) في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٧١) قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا (من سلسلة الرحلات الكاريبية) مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٢) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٣) مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢١هـ.

(٧٤) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٥) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٦) في جنوب البرازيل (من سلسلة الرحلات البرازيلية) مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٧) شمال شرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٨) بلغاريا ومقدونيا (من سلسلة الرحلات في بلاد البلقان) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٩) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٠) بيليز والسلفادور (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨١) (العودة إلى ما وراء النهر) جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٢) (على سقف العالم) رحلة في التبت، وحديث في شؤون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي، بريدة، ١٤٢٢هـ.

(٨٣) الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨٤) بلاد العربية الضائعة (جورجيا) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٥) الاعتبار في السفر إلى ماليبار (من سلسلة الرحلات الهندية)، نشره النادي الأدبي الثقافي في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٦) ذكريات من خلف الستار العقيدي، رحلة في شرق أوروبا وأحاديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٢هـ.

(٨٧) بالي، جزيرة الأحلام، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٨) غايتي من السفر إلى هايتي، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٩) إلى جنوب الشمال: بلاد السويد، طبع في مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢٣هـ.

(٩٠) وراء المشرقين رحلة حول العالم وحديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩١) إلمامة بجنوب الفلبين لحضور الاحتفال بافتتاح المباحثات السلمية بين الحكومة الفلبينية وجبهة تحرير مورو الإسلامية، ومشاهدات أخرى، مطابع النرجس عام ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م.

(٩٢) رحلة هونغ كونغ وما كاو، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٣) إلى أقصى الجنوب الإفريقي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٤) شمال سيبريا (من سلسلة الرحلات السيبرية) مطابع النرجس، الرياض، عام ١٤٢٤هـ.

(٩٥) فوق سقف الصين: رحلة في الشمال الغربي من الصين، وحديث عن المسلمين، طبعته مطبعة العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٦) إقليم أورنبورغ (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا) طبع في مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٧) إلى إريتريا بعد ٣٦ سنة، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ.

(٩٨) الشرق الشمالي من البرازيل: رحلة في ولايات: برنانبوكو وريوقراندي دي نورتي وباراييبا (من سلسلة الرحلات البرازيلية) طبع في مطابع العلا في الرياض.

(٩٩) من غينيا الاستوائية إلى ساو تومي: رحلات في القارة الإفريقية، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(١٠٠) من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية) مطابع العلا في الرياض، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(١٠١) إلى شمال الشمال: بلاد النرويج وفنلندا (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية)، مطابع العلا في الرياض، ١٤٢٤هـ.

(١٠٢) في غرب أستراليا (من سلسلة الرحلات الأسترالية) طبع في مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٩هـ.

(١٠٣) (نظرات في شمال الهند) مجلدان، طبع في مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(١٠٤) جولات فنزويلية وحديث عن المسلمين في أحد أركان القارة (من سلسلة رحلات في أمريكا الجنوبية)، مطبعة النرجس في الرياض عام ١٤٢٧هـ.

(١٠٥) الحل والرحيل في بلاد البرازيل (ثلاثة مجلدات من سلسلة الرحلات

البرازيلية)، (تحت الطبع).

(١٠٦) في وسط الهند، طبعته مطبعة النرجس عام ١٤٢٦هـ.

(١٠٧) قوادي لوب وانتقوا وسان مارتن (من سلسلة الرحلات في البحر الكاريبي) طبع مطابع النرجس عام ١٤٢٩هـ.

(١٠٨) في شمال شرق آسيا، رحلة في سيبريا ومنغوليا، طبع مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٦هـ.

(١٠٩) القلم وما أوتي، في جيبوتي، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٥هـ.

(١١٠) خلال أوكرانيا بحثاً عن المسلمين، (من سلسلة الرحلات في بلاد الشمال)، (تحت الطبع).

(١١١) مقال في زيارة منطقة الأورال، (من سلسلة الرحلات في وسط روسيا)، طبع مكتبة الطرفين في الطائف عام ١٤٣٠هـ.

(١١٢) بورتوريكو وجمهورية الدومنيكان، (من سلسلة الرحلات الكاريبية)، طبع في مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢٩هـ.

(١١٣) جمهورية القبائل الروسية (رحلات في جنوب روسيا)، نشرته مكتبة الرشد بالرياض.

(١١٤) في غرب سيبيريا، مشاهدات وأحاديث في شئون المسلمين (الرحلات السيبيرية)، نشرته مكتبة الرشد بالرياض.

(١١٥) شمال أستراليا، رحلة وحديث في أحوال المسلمين (الرحلات الأسترالية)- (تحت الطبع).

(١١٦) إلمام بالمحيط الهادي من أستراليا إلى جزيرة قوام (الرحلات الأسترالية)، نشرته دار الثلوثية في الرياض.

(١١٧) إلى الشرق الأقصى الروسي (الرحلات الروسية)، نشرته دار الثلوثية في الرياض.

(١١٨) في أقصى شرق الهند (الرحلات الهندية) طبعته مطبعة النرجس عام ١٤٣٢هـ.

(١١٩) جنوب أستراليا (الرحلات الأسترالية)، نشرته دار الثلوثية في الرياض عام ١٤٣٠هـ.

(١٢٠) رحلة أخرى إلى الحبشة بعد أربعين عاماً، مطبعة النرجس في الرياض، عام ١٤٣١هـ.

(١٢١) قول أوفى، في كوسوفا، نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام ١٤٣١هـ.

(١٢٢) القول المجسّد من الجولة في الجبل الأسود، تحت الطبع.

(١٢٣) رحلة إلى المدينة المنورة قبل ستين سنة: نشرته دار الثلوثية في الرياض عام ١٣٣١هـ.

(١٢٤) في أعماق الصين الشعبية: رحلة في مقاطعة منقوليا الداخلية وحديث عن الإسلام والمسلمين: طبعته مطبعة النرجس عام ١٤٣١هـ.

(١٢٥) العودة إلى غرب إفريقية، طبعته مطبعة النرجس عام ١٤٣٢هـ.

(١٢٦) رحلة من بريدة إلى الظهران قبل ٦٠ سنة، مطبعة النرجس في الرياض، عام ١٤٣٢هـ.

(١٢٧) غينيا الجديدة آخر الغينيات زيارة (تحت الطبع).

(١٢٨) الإشراف على أطراف من المغرب العربي (تحت الطبع).

(١٢٩) شرق أستراليا (الرحلات الأسترالية) (تحت الطبع).

(١٣٠) رحلة الأندلس (تحت الطبع).

(١٣١) سفرة إلى تاجيكستان (وهو هذا الكتاب).

مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات

(١٣٢) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات)-نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(١٣٣) أخبار أبي العيناء اليمامي- طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(١٣٤) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبدالعزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(١٣٥) كتاب الثقلاء- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٣٦) نفحات من السكينة القرآنية- طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس- نشرته دار العلوم، الرياض، ١٤٠٣هـ.

(١٣٧) مأثورات شعبية- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٣٨) سوانح أدبية- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١٣٩) صور ثقيلة- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١٤٠) العالم الإسلامي والرابطة- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

(١٤١) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء، مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١٤٢) المقامات الصحراوية- مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١٤٣) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة- بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية- نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي، الرياض، ١٤١٩هـ.

(١٤٤) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، نشرته جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٤٥) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة)- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة، ١٤١٩هـ.

(١٤٦) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبدالعزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(١٤٧) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(١٤٨) الدعاة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٤٩) واجب المسلم في بلاد الأقليات، نشرته رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(١٥٠) (العالم الإسلامي: واقع وتوقعات) نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها.

(١٥١) الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة، طبعته مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٥٢) (حِكَمُ العوام)، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٥٣) في لغتنا الدارجة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، في مجلدين كبيرين.

(١٥٤) حكايات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام ١٤٢١هـ.

(١٥٥) أثر الأقليات المسلمة في الدعوة الإسلامية، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(١٥٦) الكناية والمجاز في اللغة العامية، نشرته مجلة الدرعية التي تصدر في الرياض، ١٤٢٣هـ.

(١٥٧) أماكن قديمة العمارة في القصيم، نشرته مكتبة العبودي في بريدة لصاحبها صالح بن عبدالله العبودي.

(١٥٨) معجم الألفاظ الدخيلة في لغتنا الدارجة، نشرته مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض في مجلدين- عام ١٤٢٥هـ.

(١٥٩) المقامات البلدانية، نشره النادي الأدبي في الرياض، عام ١٤٢٦هـ.

(١٦٠) الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة، أو ما فعلته القرون بالعربية في مهدها (ثلاثة عشر مجلداً) نشرته مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٦١) الحوار في الإسلام، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٦٢) دور الأقليات الإسلامية في الدعوة إلى الله، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٦٣) الأقليات المسلمة: الواقع والمأمول، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٦٤) العالم الإسلامي: الواقع والمعاناة، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٦٥) هذا ما أستوحيته من الناس، كتاب أدبي طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٩هـ.

(١٦٦) جهود خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله في مساعدة الإخوة المسلمين وبخاصة في بلاد الأقليات المسلمة، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٩هـ.

(١٦٧) العلاقات بين المملكة العربية السعودية وتركيا، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٩هـ

(١٦٨) أخبار الملا ابن سيف نشرته دار الثلوثية في الرياض.

(١٦٩) أخبار قني نشرته دار الثلوثية في الرياض.

(١٧٠) أخبار مطوع اللسيب نشرته دار الثلوثية في الرياض.

(١٧١) مشاهد من بريدة قبل ٧٥ سنة، نشرته دار الثلوثية في الرياض.

(١٧٢) المطوع في باريس، نشره النادي الأدبي في الرياض.

(١٧٣) الأصدقاء الثلاثة (رواية) طبعتها مطبعة النرجس في الرياض، عام ١٤٣٢هـ.

(١٧٤) كلمات قضت (في مجلدين كبيرين: معجم بالفاظ اختفت من لغتنا الدارجة أو كادت) نشرته دارة الملك عبدالعزيز في الرياض.

(١٧٥) معجم النخلة في المأثورات الشعبية، نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

(١٧٦) معجم المطر والسحاب، نشرته دار الثلوثية في الرياض في عام ١٤٣٢هـ.

(١٧٧) معجم الأنواء والفصول، نشرته دار الثلوثية في الرياض في عام ١٤٣٢هـ.

(١٧٨) معجم الديانة والتدين، نشرته دار الثلوثية في الرّياض في عام ١٤٣٢هـ.

(١٧٩) معجم ألفاظ الصيد والقنص، نشرته دار الثلوثية في الرياض في عام ١٤٣٢هـ،

(١٨٠) معجم ألفاظ المرض والصحة في المأثور الشعبي (تحت الطبع).

(١٨١) معجم ألفاظ الحرف والصنائع في المأثورات الشعبية (تحت الطبع).

(١٨٢) معجم الحيوان عند العامة، نشرته مكتبة الملك فهد الوطنية في الرياض عام ١٤٣١هـ.

(١٨٣) الشيخ العلامة عبدالله بن محمد بن حميد كما عرفته في مجلدين: نشرته دار الثلوثية في الرياض عام ١٤٣٢هـ.

(١٨٤) معجم أسر بريدة في٢٣ مجلداً، نشرته دار الثلوثية في الرياض عام ١٤٣٠هـ.

(١٨٥) المستدين: قصة طبعت في مطبعة النرجس عام ١٤٣١هـ.

(١٨٦) الأصدقاء الثلاثة: رواية، طبعت في مطابع الفرزدق في الرياض، عام ١٤٣٢هـ.

(١٨٧) العلاقات بين المملكة العربية السعودية وتركيا (تحت الطبع).

(١٨٨) القضاء في المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (تحت الطبع).

(١٨٩) أهمية الوثائق المحلية في تاريخ الأفراد والأسر (تحت الطبع).

(١٩٠) الرحلات العالمية وآثارها في الدعوة إلى الله (تحت الطبع).

(١٩١) أفكار حول معالجة الزحام الشديد في المسجد الحرام في المواسم (تحت الطبع).

المقدمة:

الحمدلله رب العالمين اللهم صَلِّ وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فإن هذا هو الكتاب الثاني من ثلاثة كتب تتحدث عن جولة قررنا مسارها، وحددنا تاريخها في مكتبي في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

وقد بدأت الرحلة بالسفر إلى جمهورية (أوزبكستان) فزرنا عاصمتها طشقند بعد أن مررنا بمدينة اسطنبول.

وبعد الفراغ من زيارتها سافرنا بطريق البر إلى حدودها مع جمهورية تاجيكستان لأنها وإن كانت مجاورة لها فإنه لا يوجد طيران بين البلدين، بسبب العداء والسياسة، وألاعيب الساسة فيها التي يعلن أهل أوزبكستان أن سببها أن أناساً من المتدينين من أهلها يتخذون من (تاجيكستان) ملجأ يهاجمونها منه أو موئلاً لهم يتهيئون للهجوم عليها من خلاله.

وتنفي حكومة تاجيكستان ذلك قائلة، إن هذا غير صحيح وإنها ليست حكومة دينية، ولذلك لا تتعاون مع المتدينين المتشددين ضد أناس أخرين.

لذلك سافرنا من مدينة طشقند إلى الحدود البرية في جمهورية تاجيكستان ومعنا القائم بالأعمال في سفارة بلادنا الأستاذ (ظافر معطش العنزي) على سيارة السفارة جزاه الله خيراً.

ومن الحدود دخلنا إلى جمهورية تاجيكستان، وبعد الفراغ من زيارة

تاجيكستان سافرنا إلى قازاقستان في زيارة عاجلة أيضاً.

وما وجدته في مذكرتي عما بعد ذلك لما هو داخل في جمهورية تاجيكستان سوف أنكره بعد هذه الدراسة التي أعدها وفدنا عن (جمهورية تاجيكستان).

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

جمهورية تاجيكستان

الموقع والجغرافيا:

أحببت كعادتي في كتب الرحلات أن أقدم للبلد الذي أزوره بمعلومات توضح أمر ذلك البلد فتذكر اسمه ونواحيه، وأحياناً أقسامه الإدارية، والأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية فيه.

تاجيكستان تقع في جنوب شرق آسيا الوسطى وهي بلاد داخلية، وتغطي معظم أراضيها مرتفعات جبلية، حيث تمتد من عقدة بامير وسلاسل جبال تنغري تاغ في الشرق، وتعتبر قمم هذه الجبال أطول سلسلة ثلجية قارية في العالم إذْ يبلغ طولها ٨٠٠٠ كيلومتر.

وقمة إسماعيل الساماني التي سماها الشيوعيون بالشيوعية هي أعلى قمة إذْ يبلغ ارتفاعها ٧٤٩٥ متراً.

وتخترق هذه المرتفعات وديان وأنهار، حيث يجري نهر سرداريا في الشمال، وهو المعروف في الكتب العربية القديمة بنهر (سيحون)، ولكن أكثر انهار تاجيكستان تصب في نهر أمودريا، ونهر بانج الذي يجري على طول الحدود مع أفغانستان، ويعرف في الكتب العربية القديمة بنهر (جيحون)، يتصل بنهر واخش، الذي يتصل بنهر كافرنهان في أقصى الجنوب الغربي، ثم يصب في نهر أموداريا في النهاية.

وإلى جانب هذه الأنهار، يوجد عدد من البحيرات العذبة، وأكبرها بحيرة قراكول التي تقع على ارتفاع ٤٠٠٠ متر في شرق هضبة بامير، وتنحصر السهوب في الغرب.

ومع أن عدد الأيام المشرقة في تاجيكستان تزيد عن ٢٥٠ يوماً في السنة إلا

أن درجات الحرارة تصل إلى أكثر من ٤٨ درجة في الصيف في الجنوب، وتنخفض في الشتاء إلى ٢٠ درجة تحت الصفر في الوديان وفي المرتفعات، وبخاصة في شرق بامير تنخفض إلى ٦٠ درجة تحت الصفر في الشتاء.

وتاجيكستان أصغر دولة في آسيا الوسطى، إذْ تبلغ مساحتها ١٤٣,١٠٠ كيلومتراً مربعاً، وتتكون من أربع وحدات إدارية، و هي ولاية الصغد وقد كانت تسمى ولاية لينين آباد في عهد الشيوعية، وعاصمتها مدينة خجند في الشمال الغربي، وولاية ختلان في الجنوب وعاصمتها قورغان تبه، والولاية الوسطى وفيها العاصمة دوشنبه، والرابعة هي ولاية غورنو- بدخشان الذاتية الحكم وعاصمتها خوروغ، وتقع في الركن الجنوبي الشرقي، ومساحتها ٦٣,٧٠٠ كيلومتر مربع.

الاقتصاد والثروة:

كانت تاجيكستان من أفقر الجمهوريات في الاتحاد السوفياتي، وقد تدهور اقتصادها مع الحروب الأهلية التي أصابت بالضرر فئات المجتمع المختلفة وأدت إلى توقف المساعدات التي كانت تتلقاها من روسيا وأوزبكستان، وقد استعادت بعض عافيتها بعد توقيع السلام بين الأطراف المتنازعة، إلا أن عدم استقرار الوضع الأمني لا يزال يحول دون تدفق الإستثمار الأجنبي واستغلال الثروات المعدنية، ومن أهمها الفضة والذهب واليورانيوم والزنك والرصاص، وكان انتاجها من النفط ٣٥٠٠ برميل في اليوم في عام ١٩٩٩م، ولكنها تستهلك من المنتوجات البترولية من الخارج، ومنها ٧٠% من أوزبكستان، ومع أن تاجيكستان تملك مخزوناً

كبيراً من الغاز الطبيعي يقدر بنحو ٢٠٠ بليون طن، فإنها بسبب قلة الإنتاج تستورد حاجتها من أوزبكستان وتركمانستان، وقد وعدتها إيران بالمساعدة المالية في قطاع النفط.

وتتركز الزراعة على القطن والحبوب والخضار، ولكنها لا تكفي حاجة السكان، والزراعة بدائية، علاوة على أن القطن لا يزال هو المحصول الرئيسي.

والصناعة محدودة، وهناك صناعة التعدين وأهمها صناعة الألمنيوم في تورسون زاده، وصناعة الأجهزة المنزلية الكهربائية مثل الثلاجات وكذلك صناعة النسيج، والأسمدة والزيوت النباتية، والطاقة الكهربائية، وتتمثل ثروتها الحيوانية في الأغنام والمواشي والخيول والحمير، وتعتمد مصادر الدخل على قطاعات الزراعة بنسبة ٢٥%، والصناعة ٣٥%، والخدمات ٤٠%، كما قدر دخل الفرد السنوي بـ٩٩٠ دولاراً والتضخم ٤٦,٣% في عام ١٩٩٨م، وقيمة الصادرات ٧٤٠ مليون دولار، والواردات ٨١٠ ملايين دولار في عام ١٩٩٨م، وأما قيمة الدولار فهي ٢٥٥ سامانا عند زيارتنا لها في يونيه ٢٠٠١م.

السكان:

قدر عدد سكان تاجيكستان بنحو ٦,٤٤٠,٧٣٢ نسمة في عام٢٠٠٠م، والنمو الطبيعي ٢,١٢% في عام ٢٠٠٠م، ويتألف السكان من قوميات التاجيك بسنبة ٦٥%، والأوزبك ٢٥%، و الروس ٣,٥%،

وآخرون ٦,٥%، وتتوزع القوى العاملة إلى الزراعة بنسبة ٥٢%، والصناعة و التعدين والبناء ١٧%، وفي الخدمات ٣١%.

وقد بلغت نسبة البطالة ٦% في الإحصائيات الرسمية في عام ١٩٩٨م، والمسلمون السنة يمثلون ٨٥%، والإسماعيلية ٦%، واتباع الديانات الأخرى ٩%.

حكومة تاجيكستان:

يتسم الحكم بالنظام الجمهوري الديمقراطي، حسب الدستور الذي اعتمد في ٦ نوفمبر ١٩٩٤م، واليوم الوطني في ٩سبتمبر، وهو تاريخ الإستقلال عن الاتحاد السوفيتي في ٩ سبتمبر ١٩٩١م، وفروعه الرئيسية الثلاثة هي:

- **الجهاز التنفيذي**: يتكون من رئيس الجمهورية إمام علي رحمانوف، وقد أعيد انتخابه في ٦ نوفمبر ١٩٩٩م، ورئيس الوزراء عاقل عقالوف منذ ٢٠ يناير ١٩٩٩م، ويتم انتخاب رئيس الجمهورية بالتصويت المباشر من الشعب لمدة سبعة أعوام، أما رئيس الوزراء والوزراء فيتم تعيينهم بترشيح من رئيس الجمهورية ومصادقة المجلس الأعلى (البرلمان).
- **الجهاز التشريعي**: البرلمان ويسمى المجلس الأعلى ويضم ١٨١ مقعداً، وقد تم انتخاب ٩٦ عضواً بالتصويت الشعبي مباشرة لمدة خمسة أعوام في ٢٦ فبراير ١٩٩٥م، وكان نتيجة الانتخاب أن

أعلن فوز الحزب الشيوعي وحلفاؤه بمائة مقعد، وحزب الشعب بعشرة مقاعد، وحزب وحدة الشعب بستة مقاعد، و حزب التجديد السياسي والاقتصادي بمقعد واحد، والآخرون أربعة مقاعد.

- والسن القانوني للانتخاب هو ١٨ عاماً.
- **الجهاز القضائي**: يعتمد في أسلوبه على النظام السوفييتي القديم، ويستمد قوته من الدستور، وتتصدر المحكمة العليا الجهاز القضائي وهو مستقل، والقضاة يعينهم رئيس الجمهورية.

من هم التاجيك:

يختلف العلماء في تفسير كلمة تاجيك اختلافاً كبيراً، فمنهم من يقول إنها كلمة عربية يعود أصلها إلى تاجر، لأن التاجيك شعب مستقر زاول التجارة منذ القدم، ومنهم من يقول إنها من كلمة تاج، فهم أرباب الحكم والسيادة، وثالث يقول إنها من كلمة طي اسم قبيلة عربية كانت تقطن بلاد الحيرة في شمال شرق جزيرة العرب، وإن تاجيك صيغة بهلوية أطلقها الفرس الساسانيون على العرب، واقتبسها الترك منهم بشكل تزيك (Tezik)، ثم حرفها الصينيون إلى تاشي (Tashi).

ومع تقدم العرب وانتشار الإسلام في الشرق أصبحت كلمة تاجيك تطلق على المسلمين، وفي الوقت الذي بقيت كلمة تازيك تطلق على العرب في اللغة الفارسية، غدت كلمة تاجيك تستعمل اسماً على الجماعات الإسلامية التي تتحدث اللغة الفارسية في جنوب شرق آسيا الوسطى.

وأما الأصل العرقي لشعب التاجيك فهو يرجع عموماً إلى شعبي الصغد والتوخار، ويعرف التوخار في الكتب العربية القديمة بلفظ (طخار)، وينتميان إلى القبائل الآرية، التي استوطنت أعالي حوضي نهري جيحون وسيحون قبل الميلاد، ثم اندمجت بالشعوب الفارسية والتركية و العربية التي حكمت بلاد ما وراء النهر، ولا تزال لغة يا غنوبي في وادي يا غنوب حول نهر زارفشان، تمثل اللغة القديمة لأجداد التاجيك القدماء، الذين كانت لغتهم تنتمي إلى الفرع الشرقي الإيراني، الذي تمثله لغة الأوسيت في شمال القفقاس في الوقت الحاضر.

وفي الإحصائية الرسمية للاتحاد السوفيتي في عام ١٩٨٩م، بلغ عدد التاجيك في الاتحاد السوفيتي ٤,٢١٦,٦٩٣ نسمة، ويتوزعون آنذاك في الجمهوريات التالية:

تاجيكستان ٧٧%، وأوزبكستان ٢٠,٥%، وقيرغيزستان ١%، وفي بقية الاتحاد السوفيتي ١,٥%.

وأما في خارج الاتحاد السوفيتي السابق، فالتاجيك في شمال كل من إيران وأفغانستان، وباكستان، وفي تركستان الشرقية بالصين، وفي حين أن التاجيك في تركستان الشرقية وباكستان هم من الإسماعيلية إلا أن أغلبية التاجيك في تاجيكستان وأفغانستان هم من أهل السنة.

قال الدكتور غالب بن غايب وهو عالم مختص بالتاريخ يعرف عدة لغات ويؤلف بها وهي الروسية والفارسية، لغة أمه بمعنى أنها اللغة الأساسية له، والثالثة هي العربية، وقد شغل وظيفة وزير الشئون الإسلامية في تاجيكستان.

إن (طي استان) تغيرت إلى طخارستان.

وهذا تاييد لكون أصل اسم تاجيكستان (طي استان) نسبة إلى قبيلة طي التي يراد بها العرب لآن اللغة الفارسية القديمة التي كان الناس يتكلمون بها إبان الفتح كان القياصرة فيها يسمون العرب (طيء) أخذاً من وجود جماعات من قبيلة طيء كانت تتصل بهم عندما كانوا يحكمون العراق حتى جنوبه، ومن هنا جاءت تسمية (طي استان) بمعنى (عرب استان) لأن قبائل عربية عديدة استوطنت هذه المناطق مما وراء النهر بعد الفتوحات الإسلامية وبخاصة خلال القرنين الأول والثاني للهجرة، لذا نسبت هذه البلاد إليهم.

وذكر لي الدكتور- غالب غايب- أن المستشرق الروسي يرتولد ذكر أن معنى (تاجي) طيء، وأن هذا الاسم تطور من طيء إلى تاجي).

وقد سمعت من أهل البلاد أن مدينة دوشنبه سميت بهذا الاسم في أوائل القرن السابع عشر، حيث كان في محلها سوق يقام في يوم الاثنين من كل أسبوع، ويوم الاثنين بالفارسية اسمه (دوشنبه) أي الأحد الثاني.

وقال الدكتور غالب: كان في مكان دوشنبه مدينة من زمن الإغريق إذْ كان الاسكندر وصل إليها وبقي فيها بعض قومه إلى ما ئتي سنة ثم اضمحلوا، أما المدينة التي كانت معروفة عندهم فاسمها كان (شومان) وتعتبر أقرب مدينة إلى موقع مدينة دوشنبه العاصمة الحالية.

وكانت تلك المدينة جزءاً من منطقة تسمى (شومان) وتعتبر دوشنبه من توابعها.

قال: وبعد ذلك سميت شومان باسم (حصار).

أقول زرت مدينة حصار هذه وذكرت زيارتنا مفصلة في اليوميات كما كنت زرت في المرة الأولى التي وصلت فيها إلى تاجكستان (قلعي حصار) أي قلعة حصار، وتكلمت عليها بتوسع في كتاب (يوميات آسيا الوسطى).

قال: عندما جاء قتيبة بن مسلم غازياً لهذه البلاد كان اسمها شومان وذكر أن ذلك موجود في تاريخ الطبري.

قال: ومعه أخوه، أي أخو قتيبة بن مسلم الذي اسمه صالح فتحا (شومان) التي تقع دوشنبه الحالية في قسم منها.

قال: ثم نسي اسم شومان وأصبح اسمها صغانيان، ثم نسي اسم صغانيان هذا وحل محله اسم (طخارستان).

قال: ومدينة ترمذ من بلاد صغانيان.

أقول: سألته أثناء ذلك عما إذا كان يوجد أناس من أهل هذه البلاد يعرفون من أنسابهم أنهم من العرب؟

فأجاب: إن الإنسان العادي هنا لا يهتم بهذه الأمور، ولا يحتفظ بها ولا يدري عن أصله إلا أنه تاجكي، المنسوب إلى تاجيكستان ما عدا السادة فهم يحرصون على تدوين أنسابهم واخبار أولادهم وأحفادهم بذلك.

ثم ذكر عن إرهاب الروس في أول احتلالهم لهذه البلاد أنهم كانوا يضايقون الذين يعرفون العربية، يزعمون أنهم ينسبون مقاومة الأهالي لهم، حتى بلغ ذلك درجة القتل بالقبض عليهم وتلفيق التهم التي توجه إليهم وتكون عقوبتها القتل.

قال، وقال غيرهم من أهل البلاد: إن الناس كانوا يدفنون الكتب

العربية الدينية في الأرض، حذراً من أن تقع في أيدي الشيوعيين بعد سيطرتهم على البلاد فيحرقوها كما أحرقوا كتباً عربية كثيرة.

فهم في هذا مثل أهل خوارزم وبخارى الذين كانوا يدفنون الكتب العربية في التراب لإنقاذها من أن يحرقها الشيوعيون فسبب ذلك تلفاً لكثير من الكتب.

ثم أضاف الدكتور غالب يقول في حديثه إلينا: في القرن الحادي عشر صار اسم البلاد هكذا (تاجيكستان) وقال: أهلها صار اسمهم التاجيك منذ القرن الحادي عشر الميلادي، وقال: ذكر ذلك البيهقي في التاريخ.

التاريخ:

يعود ظهور جمهورية تاجيكستان بشكلها الحالي لأول مرة في التاريخ في عهد الحكم السوفيتي، عندما أصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي قراراً بإلغاء جمهورية تركستان السوفيتية الاشتراكية الذاتية الحكم، وإنشاء جمهوريات سوفيتية اشتراكية لشعوب الأوزبك والقازاق والقرغيز والتركمان والتاجيك بتاريخ ١٨/١٠/١٩٢٤م)، وتأسست جمهورية تاجيكستان السوفيتية الاشتراكية الذاتية الحكم بادئ ذي بدء ضمن جمهورية أوزبكستان السوفيتية الاشتراكية في ٢٧ أكتوبر ١٩٢٤م، ثم عدلت حدودها حيث ألحقت بها ولاية خجند، ثم أعلن أنها جمهورية تاجيكستان السوفيتية الاشتراكية في ١٦ أكتوبر ١٩٢٩م.

ومع انهيار الاتحاد السوفيتي اتخذ برلمان تاجيكستان قراراً بجعل

تاجيكستان جمهورية اشتراكية ذات سيادة في ١٩٩٠/٢/١٨م، ثم أعلن البرلمان استقلالها في دورته الاستثنائية في يوم الاثنين ٩ سبتمبر ١٩٩١م.

وإذا كان هذا تاريخ نشأتها الجديدة إلا أن تاريخ شعوبها التي صنعت حضارتها يعود لأكثر من خمسة آلاف سنة.

ومن أوائل الشعوب التي استوطنت فيها شعب الاسكيذ (Seythe) أو سا كا (Saka)، وبخاصة تلك الحروب التي دارت رحاها بين افراسياب وقوروش ملك الفرس في عام ٦٢٤ق.م، ثم ظهر فيها الصغد الذين استوطنوا حوضي نهر زارفشان ونهر قاشقاداريا إلى بحيرة آرال والمجرى الأعلى لنهر أمودايا (جيحون في الكتب العربية)، وقد ازدهرت دولة الصغدوعرف أهلها بالتجارة، وكانت لهم أبجدية خاصة مشتقة من الآرامية التي كانت تستخدم في فارس، وقد غزا الإسكندر المقدوني الصغد، وتزوج أميرتهم روكسانا (Roxana) التي أنجبت له ابنه الوحيد إلا أنهم قتلوه في عام ٣٢٣ق.م.

ثم توالت عليها الدول والحكومات إلى أن فتحها الأحنف بن قيس في عام ٣١هـ/٦٥١م.

وبلغت مجدها إبان الدولة السامانية، حيث ازدهرت الثقافة الإسلامية ازدهاراً كبيراً، ثم استمر هذا الازدهار في عهد القراخانيين والغزنويين ثم جاء بعدهم السلاجقة في عام ١٠٢٥م، وقد ضمت مملكتهم في عهد السلطان ملك شاه الشرق الإسلامي فيما بين كاشغر في الشرق والقدس في الغرب.

وبعد أن تعرضت لجحافل المغول كانت بلاد ما وراء النهر من نصيب جغتاي الابن الثاني لجنكيز خان، ثم نهضت في عهد تيمورلنك ولكن بعد انهيار مملكته توزعت أراضي تاجيكستان الحالية بين خانية خوقند التي ضمت إليها شرقها، بينما وقع غربها وشمالها في خانية بخارى.

ثم بسطت خانية طشقند سيادتها على أجزاء منها، وقد أدى استمرار الحروب الطاحنة بين الأمراء المحليين إلى تسهيل غزو روسيا لها بعد سيطرتها على الخانيات، وهي الممالك المذكورة، واكتمل احتلالها بعد أن ألحق إليها مناطق شوغناق وروشان وواخان بموجب معاهدة بامير في ١٨٩٥/٨/٢٠م.

وإبان الحرب العالمية الأولى كانت مدينة خجند في شمال تاجيكستان مركزاً لثورة المسلمين ضد الحكم الروسي، وقد عرفت بحركة البصمه جي، وبلغت ذروتها بعد انضمام الجنرال التركي أنور باشا إلى قيادتها لتحرير تركستان في ٨ نوفمبر ١٩٢١م، ولكن استشهاده أدى إلى تغلب الشيوعيين الروس عليها.

الإسلام والمسلمون في تاجيكستان:

أستتب الإسلام في أراضي تاجيكستان الحالية، وهي جزء من البلاد التي عرفت في المصادر الإسلامية باسم ما وراء النهر، التي كانت من أهم مراكز الثقافة والعلم والمعرفة إبان العهد الإسلامي وازدهاره، وقد عم صيت علمائها العالم الإسلامي ومنهم الأديب الفيلسوف سعد الدين التفتازاني، والعالم المفسر حسين واعظ الكاشفي، والشيخ عبدالرحمن الجامي، وغيرهم، وكان التاجيك هم أ مراء الأدب الفارسي، حيث ظهر منهم أبو عبدالله الردوكي، وأبو القاسم الفردوسي وهكذا، مما جعل مدارسها مقصداً لطلاب العلم من كل حدب وصوب.

ولا توجد إحصائيات دقيقة لعدد المساجد التي كانت في تاجيكستان قبل العهد الشيوعي، ولكن بعض المصادر الإسلامية تقدر عددها بثلاثة آلاف مسجد، لم يبق منها إلا ١٧ مسجداً في أواخر عام ١٩٩٠م، إلى جانب ١٩ كنيسة ومعبد يهودي لغير المسلمين، الذين لم تكن نسبتهم تتجاوز ٣٠%، والمسلمون الذين نسبتهم ٧٠%، لم يكن لهم إلا ١٧ مسجداً حينذاك.

وفي سنوات التغيير الأولى بلغ عدد المساجد ٢٩٧٠ مسجداً، وعدد الجوامع ١٨٤ جامعاً، كما افتتحت مدارس إسلامية في خجند وكورغان تبه، وفي ضاحية كلستان في دوشنبه، وكذلك معهد إسلامي باسم معهد الإمام الترمذي في دوشنبه في صفر عام ١٤١١هـ، وقد تحول هذا المعهد فيما بعد إلى جامعة إسلامية.

وهكذا لم تؤد الوسائل التي استخدمها السوفيات الشيوعيون، رغم قسوتها وتنوعها لمحاربة الإسلام، إلا في زيادة تمسك المسلمين بدينهم الحنيف، ولا شك أنها نجحت إلى حد ما في تشويه معتقداتهم، ولكن جذور التوحيد بقيت في صدورهم.

وقد زاد من الصحوة الإسلامية في تاجيكستان الحروب، التي كان المجاهدون يشنونها ضد الشيوعيين في أفغانستان المجاورة لها، وكان جهادهم الإسلامي وانتصاراتهم ضد الشيوعيين تصل إليهم عبر الحدود، وبخاصة أن القاطنين على طرفي الحدود المشتركة هم من التاجيك، وقد نجح المجاهدون في اختراق الستار الحديدي بما لذلك من أثر فعال في تذكية الروح الإسلامية في تاجيكستان.

وكان من نتائجها الأولية أن الشيخ عبدالله سعيد نوري الذي وصفته أجهزة الإعلام السوفيتية بأنه وهابي، كان يعمل على تأسيس دولة إسلامية في تاجيكستان، وقد قبض عليه في مدينة قورغان تيه في أغسطس ١٩٨٦م، وكان رئيس فرع الاستخبارات السوفيتية المركزية (K.G.b) ف. ف. بتكيل (V.V.Petkil) ذكر: بأن أكثر من عشر محاكمات جرت ضد علماء لهم تنظيمات، لا تهدف إلى تنشيط العمل الديني فحسب، بل يعملون على تنظيم الجهاد الإسلامي ضد الوجود السوفيتي في تاجيكستان في عامي ١٩٨٦- ١٩٨٧م.

وقداستغل التاجيك وصول الاجئين الأرمن للمظاهرة والمطالبة بخروجهم والروس من بلادهم، ولما تدخلت القوات السوفيتية لقمعها في ١٩٩٠/٢/١٤م، تحولت هذه المظاهرات للمطالبة باستقالة قهار محكوموف من

الرئاسة والعودة بالشعب إلى الأحكام الإسلامية، مثل حظر بيع لحم الخنزير وتوفير اللحم الحلال، وإعادة استعمال الأبجدية العربية، و إعادة الأسماء الوطنية القديمة إلى الاماكن التي أطلقت عليها أسماء روسية، والاعتراف بالهوية الإسلامية لشعب التاجيك.

وقد نجح المسلمون في إجبار قهار محكموف على الاستقالة، وعقد دورة استثنائية لبرلمان تاجيكستان.

غير أن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي التاجيكي رفضت استقالة قهار محكموف، بحجة إنها تمت تحت ضغوط جماهيرية، وذلك خلال دورة البرلمان الذي اتخذ قراراً بجعل تاجيكستان جمهورية اشتراكية ذات سيادة في ١٨ نوفمبر ١٩٩٠م، ومع ذلك نجح المعارضون في انتخاب بعض ممثليهم لبرلمان تاجيكستان، ومنهم القاضي أكبر توره جان زاده، مما ساعد على إجراء بعض التعديلات في رئاسة البرلمان في ٢٥ نوفمبر ١٩٩٠م، واستغل التاجيك هذا الانفتاح النسبي في النشاط السياسي، فظهرت بعض الأحزاب السياسية، ولكن انقلاب أغسطس الفاشل في موسكو عام ١٩٩١م، وتردد قهار محكموف في تأييد الزعيم السوفيتي مخائيل غورباتشوف، أدى إلى اتهامه بأنه كان على صلة بالإنقلابيين الفاشلين، فأقيل من منصبه، وتولى سلطات رئيس جمهورية تاجيكستان بالوكالة قدر الدين أصلانوف رئيس برلمانها في ٩ سبتمبر ١٩٩١م.

وقد سارع قدر الدين أصلانوف إلى استصدار القرار البرلماني بإلغاء وحظر عمل الحزب الشيوعي، ومصادرة ممتلكاته في جميع أراضي تاجيكستان في ٢١ سبتمبر ١٩٩١م، مما شجع مقصود أكراموف

محافظ دوشنبه على إزالة تمثال لينين، وتغيير اسم الميدان الرئيسي الذي هو باسمه إلى ميدان الحرية.

وقد أدت هذه الأحداث إلى تجمع الأعضاء الشيوعيين القدامى لإرغام قدر الدين أصلانوف على الاستقالة، وتعيين رحمان نبييف أحد رموز الحزب الشيوعي الراديكالي السابق رئيساً لجمهورية تاجيكستان، وإلغاء حظر الحزب الشيوعي ومنع سواه من الأحزاب وإعلان حالة الطوارئ.

فاشتد الصراع السياسي على السلطة بين الشيوعيين والمعارضين، واندلعت المظاهرات الحاشدة وتحولت المجابهة السلمية إلى صراع ساخن، وتمكن المعارضون من احتجاز الرئيس رحمان نبييف في مبنى مطار دوشنه، وإرغامه على توقيع الاستقالة في ٤ سبتمبر ١٩٩٩م، وتولى أكبر شاه اسكندروف رئيس البرلمان مهام رئيس الجمهورية بالوكالة، ومع ذلك استمر الصراع بين الطرفين، فجمع الشيوعيون أعضاءهم تحت حراسة القوات الروسية في خجند بتاريخ ١٩ نوفمبر ١٩٩١م، واجتمع برلمان تاجيكستان، وأعلن إقالة الرئيس بالوكالة أكبر شاه اسكندروف، بحجة أنه فشل في وقف الحرب الأهلية، وانتخب أمام على رحمانوف رئيس اللجنة التنفيذية لمحافظة قولباب، وأحد أنصار رحمان نبييف الرئيس الشيوعي السابق رئيساً جديداً لبرلمان تاجيكستان بتصويت ١٨٦ عضواً مقابل ١١ عضواً،، واشعل هذا القرار نار الحرب الداخلية بين الأطراف المتصارعة، وبخاصة أن القوات الروسية التي رفضت الاستجابة لمطالب أكبر شاه اسكندروف، للمساعدة في تهدئة الأوضاع، هي التي بدأت تفتح النيران على المعارضين في كورغان تبه وحصار وخجند وقولياب.

وفي دوشنبه دخلتها القوات الشيوعية بقيادة يعقوب سالموف وزير الداخلية، بمساندة الفرقة ٢٠١ الروسية بقيادة الكونيل أناتولي أفليف في يوم الخميس ١٠ ديسمبر ١٩٩٢م، ثم أدى الهجوم الذي شنته القوات الروسية والمليشيات الشيوعية، التي كانت بقيادة سنجاك صفاروف، إلى استشهاد المئات ولجوء آلاف إلى وادي غارم، ولكن ظهور طائرات الميغ والسوخوى الحربية الأوزبكية فوق اللاجئين في وادي غارم، الذي يبعد عن دوشنبه بحوالي ١٥٠ كيلومتر، أجبرتهم على الفرار، والالتجاء إلى مدينة قندوز في أفغانستان، حيث بلغ عددهم فيها أكثر من مائة ألف، بالإضافة إلى عشرات آلاف من المشردين منهم في أوزبكستان وقيرغيزستان وروسيا، وفي أنحاء متفرقة من تاجيكستان نفسها.

ويذكر أن إمام علي رحمانوف، قال في كلمة أمام البرلمان بدون خجل: إن المعارك بين أنصار الحكومة وخصومها أدت إلى مقتل عشرين ألف شخص، ومائة ألف مفقود، وهجرة ما يزيد عن مائة ألف شخص إلى أفغانستان، وقدرت الأضرار المادية بثلاثمائة بليون روبل.

وقاد قادة الحركة الإسلامية مع حلفائهم من الأحزاب الديمقراطية نضالاً سياسياً ومسلحاً على السواء، أجبر القوى الدولية على التدخل، حيث أعلن مجلس الأمن الدولي تعيين الأستاذ عصمت الكتاني مبعوثاً خاصاً للأمم المتحدة للعمل على وقف النزاع المسلح بين الحكومة الشيوعية والقوى المعارضة في ٢٩ أبريل ١٩٩٣م.

وقد أدى تقاعس الدول الإسلامية عن مساعدة المجاهدين التاجيك، بالإضافة إلى الظروف الإقليمية لأفغانستان السيئة، إلى انفراد الروس

والإيرانيين الذين تزايد تخوفهم، بسبب وصول طالبان إلى حكم أغلبية أراضي أفغانستان، إلى ممارسة الضغوط السياسية على المجاهدين التاجيك لتوقيع اتفاق مع حكومة تاجيكستان في موسكو بتاريخ ٢٧ يونيه ١٩٩٧م، وقد تضمن الاتفاق مشاركة القوى الإسلامية المعارضة في تشكيل الحكومة التاجيكية بنسبة ٣٠%، وعودة اللاجئين إلى ديارهم، وضم قوات المجاهدين إلى الجيش التاجيكي تحت قيادة موحدة، وإجراء انتخابات حرة.

وتكونت لجنة برئاسة السيد عبدالله موري رئيس التحالف الإسلامي الديمقراطي، وهو من المناضلين الإسلاميين القدماء لتنفيذ بنود الاتفاقية المذكورة، ولكن لم يتم تنفيذها كاملة حتى الآن، لأن جيش تاجيكستان الذي يسيطر على قيادته الشيوعيون، يرفض عودة المسلحين الذين يسيطر بعضهم على بعض المناطق، ولا تزال تحدث الاحتكاكات بينهما حتى اليوم، علاوة على أن الانتخابات الحرة المنصوص عليها في الاتفاق، لم تنفذ بسبب الخوف من فوز الإسلاميين فيها، كما أن الوزارات الرئيسية الداخلية والدفاع والخارجية والإعلام لا تزال بيد الشيوعيين، مما يشير إلى أن اتفاقية السلام مهددة بالإنهيار، وبخاصة أن الاعتمادات المالية في إعادة توطين اللاجئين لم تتوفر لمعالجة أوضاعهم بشكل مناسب، وحتى اليوم ووكالات الأنباء والصحف تشير إلى الصدامات بين الطرفين، فقد نشرت جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ١٤٢٢/٤/١٦هـ: قالت وزارة الداخلية التاجيكية أمس: أنها قتلت سبعة مقاتلين أصوليين آخرين، في عملية بدأت منذ أسبوعين ضد الجماعات الأصولية المسلحة، ليرتفع عدد القتلى الأصوليين في هذا الهجوم إلى ٤٣ شخصاً.

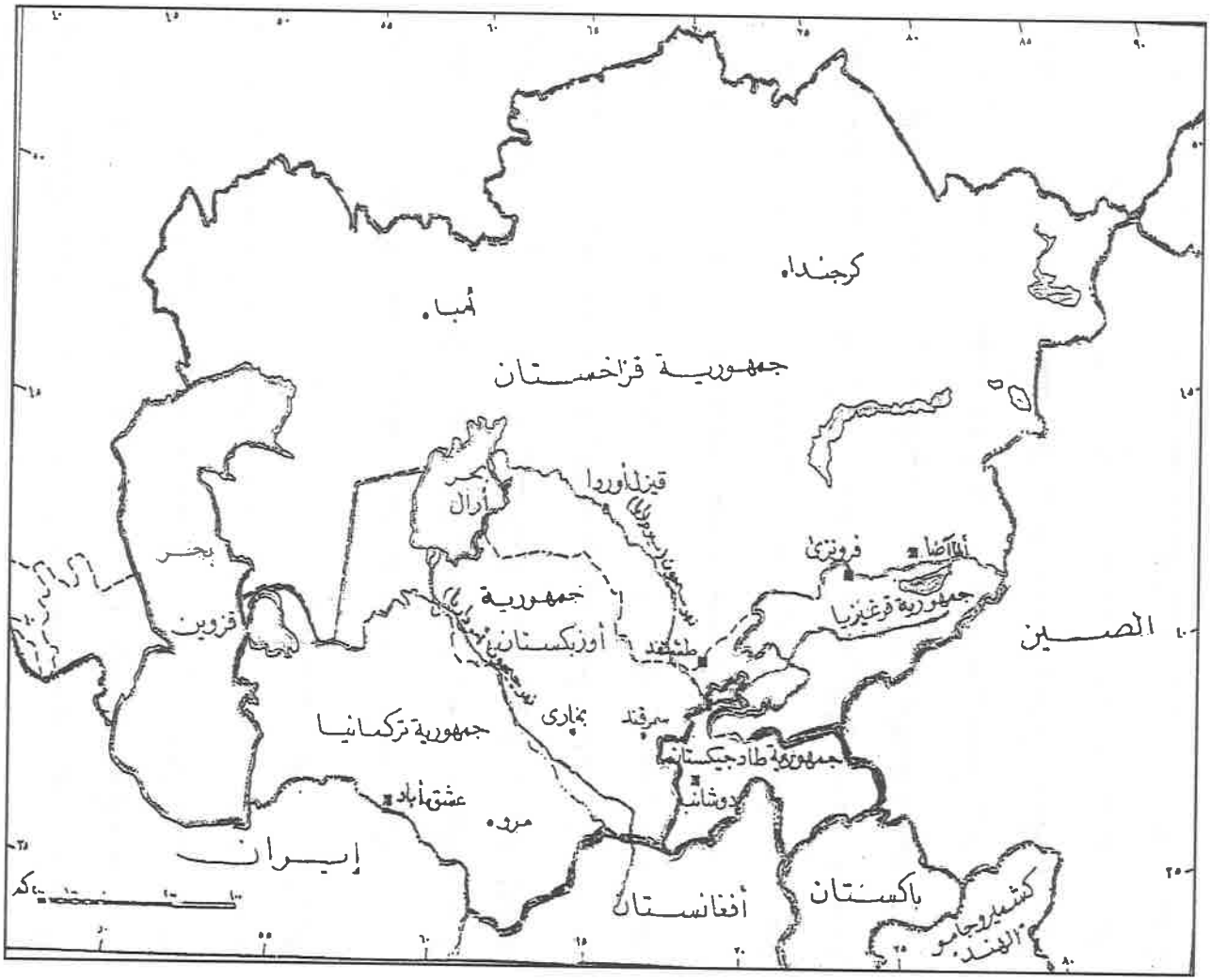

جمهوريات وسط آسيا الإسلامية

يوم الثلاثاء ١٤٢٢/٣/١٣هـ ٥ يونيو ٢٠٠١م:

على الحدود:

وصلنا إلى الحدود البرية ما بين أوزبكستان وبين تاجيكستان التي تبعد ١٤٠ كيلومتراً من مدينة طشقند، عاصمة أوزبكستان، فوجدنا أن سوء العلاقات بين البلدين قد انعكس على معاملة المسافرين بينهما في التشديد على المسافرين، وعلى السيارات التي تحملهم.

بالقرب من الحدود البرية (داخل أوزبكستان)

وقد وصلنا على سيارة السفارة السعودية في طشقند التي هي (دبلوماسية) ولذلك فتح الأوزبك – أهل (أوزبكستان) باب الحدود

الحديدي القوي لدخولها لصفتها الدبلوماسية وقد جاملوني أيضاً في إدخال السيارة وبعدم الأمر بنزولنا من السيارة بخلاف السيارات الأخرى التي لا يسمح بدخول ركابها إلا بعد أن ينتهي فحص جميع جوازات الركاب والختم بالخروج على جوازاتهم فهم ينزلونهم من سياراتهم ويأمرونهم بالسير على أقدامهم إلى مكاتب الجوازات.

وقد نزل من سيارتنا المرافقون بخاصة الأخ الحصيف الاستاذ ظافر العنزي القائم بالأعمال في سفارتنا في طشقند، وأكبر الأشخاص رتبة فيها الآن مع شخص مهم موظف في السفارة وهو من أهل البلاد ويعرف العربية جيداً لأنه نشأ في العراق وتعلم فيها.

فأنهوا ختم جوازاتنا أنا ومرافقي في الرحلة الأستاذ رحمة الله بن عناية الله، لأننا سندخل إلى تاجيكستان، أما المرافقون فإنهم سيعودون بسيارة السفارة إلى طشقند.

وبعد أن ختم الأوزبكيون جوازاتنا بالمغادرة وأرجو ملاحظة أننا لم نقل الأوزبكسانيون لأن اسم (أوزبكستان) مؤلف من كلمتين إحداهما: أوزبك والأخرى ستان فاوزبك معناه جماعة الأوزبك وهم المنسوبون إلى السلطان أوزبك خان الذي كان أحد سلاطين المسلمين العظام في المناطق الشمالية المسلمة ابتداء من هذه البلاد جنوباً إلى مشارف القطب الشمالي أو أرض الظلمات شمالاً وقد عاش في القرن الثامن الهجري وزار ابن بطوطة بلادهم ووصفه ووصف بلاده في رحلته.

وأما (استان) فإن معناها بلاد وهي كلمة شائعة الآن في بلاد ما

وراء النهر فيما هي بلدان مستقلة وهي أوزبكستان وتركمانستان وقيرغيزستان وقازاقستان وتاجيكستان وبلاد غير مستقلة، داخلة، أو مدخلة في جمهورية روسيا الاتحادية مثل (تتارستان) وبشقردزسستان وداغستان).. الخ.

في ريف أوزبكستان قبل الوصول إلى مركز الحدود في قازاقستان

عندما ختم أهل أوزبكستان جوازاتنا بالمغادرة سرنا بسيارتنا مع أرض ضيّقة أي لمسافة قصيرة بين مركزي الحدود مع البلدين إلى مركز الحدود التاجيكي، فلما وقفنا عنده قابلنا الضابط الموجود فيه وغيره بالإحترام والتقدير أكثر من أهل أوزبكستان، وختم جوازاتنا من دون أن ننزل من السيارة أو حتى ننزل أمتعتنا فضلاً عن أن يفتشوا أمتعتنا ونحن داخلون إليهم، ولكن

جوازي (دبلوماسي) ومعنا سيارة السفارة ذات اللوحات (الدبلوماسية) ثم سمحوا للسيارة بالدخول إلى ارض تاجيكستان لأن السيارة التي تنتظرنا في الجانب التاجيكي كانت تقف داخل أرضهم بطبيعة الحال.

والمعتاد في مثل هذه الحال أن يحمل المسافرون أمتعتهم بأنفسهم إلى داخل السيارة التاجيكية.

على أرض تاجيكستان:

عندما دخلنا إلى أرض تاجيكستان، ولا نزال عند مركز الحدود من الداخل والإخوة ينقلون أمتعتنا من سيارة السفارة السعودية إلى سيارة معتادة كان أهل تاجيكستان قد أرسلوها مع اثنين منهم ليستقبلونا، كان موظفو المركز التاجيك يلتفون علينا يرحبون، ويسألوننا أن ندعو الله لهم.

كانوا يفعلون ذلك وأنا أتأمل مركز الحدود التاجيكي وأقارنه بجاره الأوزبكي فأجد الأوزبكي أفضل بناء وأوسع مساحة وحتى الطريق المزفت حوله واسع وأكثر تنظيماً، ولا شك في أن من أسباب ذلك أن (أوزبكستان) أفضل في مواردها المعدنية والزراعية من تاجيكستان، كما أن الحكومة الروسية الشيوعية كانت في زمن الاتحاد السوفيتي معتبرة طشقند بمثابة عاصمة آسيا الوسطى، لذلك كانت سمحت منذ قديم للسياح الأجانب من أوروبيين وغيرهم بزيارتها على حين أن مساحات كبيرة ومدن عديدة في أراضي جيرانها كانت مغلقة عن السياح الأجانب.

فالمركز التاجيكي لا يزيد على كونه مبنى واحداً صغيراً من طابق واحد،

والمدخل إليها خشبة معترضة كالمعتاد، وأماكن وقوف السيارات بالأجرة.

على حين أن المركز الأوزبكي كان كثير الأبنية ومدخله مسقوف وفيه بوابة حديدية قديمة.

أما المسافة بين المركزين فإنها لا تتجاوز ٣٨ متراً تقريباً.

رحب بنا الشخصان اللذان حضرا إلينا بالسيارة التاجيكية وهما (حاجي محكم كمال) من لجنة الشئون الدينية الحكومية و(الشيخ محمد خان بن عثمان) من كبار أئمة المساجد، والسيارة من طراز (لادا) الروسي الشبيهة بفيات الإيطالية.

ثم ودعنا الأخ ظافر العنزي القائم بالأعمال في السفارة السعودية ومن معه حيث عادوا إلى طشقند جزاهم الله خيراً.

سارت السيارة التاجيكية بنا مع خط أسفلتي غير جيد فهو أضيق من الطريق في أوزبكستان.

أما طبيعة الأرض فلم تختلف لأنها في الأساس أرض واحدة قبل الحدود، ولكن الذي اختلف هو اللغة فلغة تاجيكستان هي الفارسية كالموجودة الآن في إيران لا فرق في ذلك كما أخبرونا به.

ومن مظاهر ذلك أن عبارة (خدا حافظ) وجدناهم كتبوها على طريق الذين يغادرون حدودهم وهي جملة فارسية معناه (في أمان الله) أو بالترجمة الحرفية الله يحفظكم أو في حفظ الله، فخدا هو اسم الجلالة بالفارسية وحافظ هي الكلمة العربية- من الحفظ.

قرية بستان:

أول ما وصلنا من الأماكن المعمورة داخل تاجيكستان قرية اسمها (بستان) هكذا باللفظ العربي من غير تحوير، وذلك ظاهر، فالثقافة العربية كانت هي السائدة هنا في القديم ثم قويت اللغة الفارسية ولكن لا تزال توجد فيها ألفاظ عربية كثيرة كما هي عليه الحال الآن في اللغة الإيرانية، ولا تبعد اللغة الأوزبكية وشقيقاتها من اللغات المتفرعة من التركية القديمة عن ذلك في كثرة الكلمات العربية فيها غير أنها كثيراً ما تكون محورة أو دخلها تغيير قليل.

لم نقف طويلاً في قرية (بستان) التاجيكية، وإنما ألقينا عليها نظرة عجلى فوجدنا بساتينها نضرة، وقال الإخوة المرافقان إنها تشرب كأمثالها من قناة مدت إليها من نهر (سرداريا).

ونهر (سرداريا) هو المعروف في كتب الثقافة العربية القديمة بنهر سيحون فكان هو وشقيقه النهر الآخر المعروف باسم جيحون يذكران معاً في المنطقة و(سرداريا) نصف اسمه عربي إذْ هو من السر: ضد الجهر بالعربية و(داريا) نهر بالتركية القديمة بمعنى اسمه نهر السر، ذكروا في تسميته بهذا الاسم أن رجلين من كبار الصوفية أهل الكرامات- كما يقولون- التقيا على مياهه من دون أن يغوصا فيه، وأن ذلك لسر في ولايتهما فسمي النهر بنهر السر (سرداريا).

وكان أسلافنا العرب القدماء إذا ذكروا هذا النهر وما فيه من الأماكن أو البلدان يسمونه نهر الشاش والشاش هي منطقة طشقند، وأصل ذلك أن تسميتها (تاش كنت) تعني قرية الحجر فتاش: حجر، وكنت: قرية.

ورايت عدة نساء يعملن في المزارع مثلما كان عندنا في القديم ولا يزال في بعض القرى والمزارع الصغيرة.

وقد كثرت رؤية الأبقار حسنة المظهر في هذا الريف التاجيكي.

ثم حسنت حالة الطريق ونحن نمعن فيه ووصلنا إلى منطقة خالية من الزراعة وإنما تبدو كالصحراوية كثيرة الشجر والمراد به الشجر الصحراوي اللاطئ بالأرض، وبينه عشب يابس من الذي تسميه العامة عندنا (الرمام) وتحبه الماشية وتعيش عليه، إذا فقدت العشب الأخضر الريان، وقد رأيت بالفعل أبقاراً ترعى من هذه الأعشاب الجافة.

ولاحظت أن اللافتات التي على الطريق كلها مكتوبة باللغة الروسية وحدها فعرفت أن أهل هذه البلاد لم يغيروها بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، والسبب في كتابتها بالروسية أنها- أي اللغة الروسية- كانت لغة الثقافة والتعليم العامة في الاتحاد السوفيتي كله، يستطيع الجميع أن يقرأها.

هذا ونحن الآن ذاهبون إلى المدينة الرئيسية في المنطقة وهي مدينة (خجندة) وهي مدينة تاريخية قديمة كما سيأتي، وتبعد (خجندة) عن الحدود بخمس وسبعين (٧٥) كيلومتراً، ومن المقرر أن نغادرها إلى العاصمة (دوشنبه) بالطائرة مساء اليوم.

هذا وقد جعل الأخوان المرافقان يحدثوننا، فكان الإمام يحدثنا بلغة عربية غير قوية، حيث إنه كان درسها لمدة سنتين قبل أن يصبح مؤهلاً للإمامة.

ورأيت مجموعة من الأبقار المختلفة الألوان ما بين حمرٍ وبيض وسود وهي ترعى مختلطة فذكرني ذلك بما رأيته في الريف الفرنسي، إذْ كانوا

يجعلون الأبقار ذات اللون وحدها منفصلة عن الأبقار الأخرى فتجد قطيعاً من البقر الأبيض لا يخالطها أي بقر من لون آخر، ثم تجد قطيعاً آخر أو مجموعة أخرى من الأبقار الحمر ولا يخالطها مخالط من لون آخر.

وقلت لهما: إن هذه البرية صالحة لرعي الإبل وتنميتها، لأن فيها عشباً وشجراً كافياً فذكروا أنهم يرعون البقر والغنم فيها وأنه لا يوجد فيها إبل.

وقد يقال: إنه ربما كان سبب ذلك شدة البرد في الشتاء، إذْ تتدنى درجة البرودة إلى عشرين درجة تحت الصفر، ولكن ذلك ينطبق أيضاً على الأبقار والأغنام التي عرفنا أنهم يحجزونها في أماكن دافئة ويعلفونها مما خزنوه من العلف في وقت الصيف للشتاء.

الطريق قبيل الوصول إلى مدينة خجنده في منطقة زراعية

قرية هَمْرَ آباد:

وهذه قرية صغيرة بيوتها من الطين لأنها قرية ريفية، ولكن سقوف بيوتها مسنمة لكي تنزلق عنها الثلوج ومياه الأمطار، وهي على الطريق الذاهب إلى خجندة الذي نسير عليه الآن، ويعني اسمها قرية همرا لأن (آباد) بالفارسية قرية أو مكان معمور.

ولم نقف عندها، وإنما واصلنا سيرنا في أرض شبيهة بالصحراء الخصبة أي ذات الأشجار الصحراوية الصغيرة، والأعشاب الجافة.

وبمقارنة هذه الأرض بأرض أوزبكستان التي كنا نسير فيها هذا الصباح من عاصمتها (طشقند) إلى مركز حدودها مع تاجيكستان نجد أن الأوزبكية أخصب أرضاً وأكثر عمارة، وقد واجهنا في الطريق حاجزاً للشرطة لم يوقفوا سيارتنا، وربما كانوا يعرفون المرافقين معنا.

هذه خجندة:

أقبلنا على (خوجنده) التي تقع على شفير وادٍ هو امتداد لوادي فرغاتة الخصيب، وتنحدر إلى الوادي على ضفة النهر الكبير (سرداريا) وخلفها جبال الوادي وجيلانه: جمع جال وهو الذي يبدو كالجبل من جهة الوادي، ولكن إذا علاه المرء لم يجده جيلاً وإنما وجده أرضاً مرتفعة.

عندما أقبلنا عليها كنت أحمد الله تعالى وأشكره الذي يسر لي زيارة هذه المدينة التاريخية، وذلك من غير أن أتكلف لها رحلة خاصة، بل هي جاءت على الطريق، وقد شعرت بالسرور العظيم الذي أشعر به كلما أقبلت على رؤية مدينة تاريخية، مذكورة مشهورة لم أصل إليها من قبل.

مدخل الوادي الذي فيه مدينة خوجنده

وهذه الجبال صحراوية المنظر لا تختلف عن الجبال أو الجيلان عندنا، لأن خصب المدينة ووفرة خيراتها هو من موقعها على نهر سيحون (سرداريا).

ولذلك رايت الأعشاب عند الوصول إليها قبل الدخول للمدينة يابسة، ورأيت قبل الوصول إليها عمالاً يرقعون الطريق الأسفلتي غير الجيدالذي يوصل إليها.

انحدرنا إلى مدينة خجندة من الجال المرتفع وهو الجانب الصخري الواقف للوادي، فوصلنا بسرعة إلى ضاحية المدينة فوجدت أشجار الفاكهة المثمرة على شفير الوادي في بساتين من أطراف المدينة.

المؤلف مع جماعة من الإخوة أهل خوجندة في مكان زراعي مرتفع يطل على الوادي الذي فيه المدينة

ووصلنا إلى شارع واسع فوقه أشجار الفاكهة ثم وصلنا في سيرنا إلى نهر سيحون العظيم وهو هنا يبدو كبيراً كما يبدو في شمال طشقند في أوزبكستان، وقد ذكرت زيارتي له هناك بالتفصيل في كتاب: (يوميات آسيا الوسطى).

ومنظره هنا مثل منظر نهر دجلة في بغداد، أو نصف منظر نهر النيل عند القاهرة.

دخلنا إلى مدينة خجندة نفسها فسلكنا شارعاً فيها مزدحماً قد جعلوا في وسطه جزيرة تفصل السيارات الذاهبة عن الآيبة فيها زهور غير نضرة، مع أن استنبات الزهور هنا سهل.

والمدينة متوسطة الكبر يبلغ عدد سكانها ١٨٠ ألف نسمة.

وفي نهاية هذا الشارع دوار فيه أعشاب يابسة، وكان ينبغي أن تكون فيه أزهار نضرة ثم عبرنا فوق جسر كبير على نهر سيحون (سرداريا) وبدا النهر منه كبيراً مفعماً بالمياه.

وهذا جسر من ثلاثة جسور على النهر لأنه يقسم المدينة فلابد من وجود جسور للاتصال بين أحياء المدينة على جانبيه.

وسط المدينة:

وصلنا وسط مدينة (خجندة) فرأينا شوارعها مشجرة بأشجار معمرة ضخمة، وبيوتها التي ترى من الطريق مبنية من الآجر ولبن الفخار.

ولاحظت أن لباس النساء هنا ساتر، وهو قميص طويل يضرب إلى الكعبين وتحته سروال لا يكاد المرء يرى أسفله لطول القميص.

مما يشعر المرء بأنه دخل إلى مدينة مسلمة عريقة، غير أن معظم السيارات التي تسير في شوارعها هي سيارات روسية أكثرها من طراز (لادا) الصغيرة، واللافتات مكتوبة بالروسية كل هذا هو من آثار الحكم الشيوعي الروسي في السابق.

وصلنا إلى سوق مزدحم يسمى (سوق الخميس) قالوا: أصله كان فيه سوق يقام يوم الخميس في القديم أما الآن فإنه يزدحم في كل الأيام.

في الإدارة الدينية:

أوقف الإخوة سيارتنا بسبب الزحام وصعوبة وجود مواقف عند الإدارة الدينية فنزلنا نسير على أقدامنا حتى وصلنا إلى (الإدارة الدينية) التي لم تكن بعيدة.

وتقع مجاورة لمسجد كبير اسمه (مسجد الشيخ مصلح الدين) وهو جامع كبير ذكروا أنه أكبر المساجد والجوامع في المدينة بمعنى التي تقام فيها صلاة الجمعة، وفي المدينة أربعة مساجد جوامع، وأما المساجد التي تصلى فيها الصلوات الخمس، ولا تصلى فيها الجمعة فإنها عديدة، ذكروا لنا أن مجموع المساجد في (خوجندة) يبلغ الآن ٢٦ مسجداً، وهذا عدد كبير بالنظر إلى كون البلاد قد خرجت لتوها من حكم شيوعي ملحد.

شارع في خوجندة

لـم نجـد رئـيس الإدارة الدينيـة، بـل وجـدناه مسـافراً إلـى العاصـمة (دوشنبه) وذلك أن إخواننا في الإدارة الدينية بطشقند هاتفوهم أمس بموعد وصولنا إلى الحدود، وأنهم ينبغي أن يستقبلونا فيها، ولكن أخانا المرافق وهو إمام وخطيب قام مقامه ورافقنا طيلة بقائنا في (خوجنده) وأفادنا بفوائد عديدة، بحكم وظيفته واهتمامه بالأمور الإسلامية وهو الشيخ (محمد جان عثمان).

كان أول ما جلسنا عليه في الإدارة الدينية مائدة وجدنا عليها خبزاً وعسلاً ومشمشاً، وهذه عادة جيدة في كل تركستان سواء منها الشرقية التي تحكمها الصين في الوقت الحاضر، والغربية هذه التي انقسمت إلى عدة دول، والتي يعد بعض الناس تاجيكستان منها وإن كانت لا تتكلم اللغة التركية، بل لغتها هي الفارسية مما لا يجعلها في نظر بعض الناس جزءاً من تركستان التي تعني بلاد الترك، ولكنني أتكلم هنا على أهل المنطقة وقد رأيتها كلها أو أكثرها فوجدتهم من أكثر خلق الله إكراماً لضيف، وبخاصة فيما يتعلق بتقديم الطعام والشراب له، رغم كونهم قد ابتلوا بالشيوعية التي تحد من حرية الناس، وتحدد حتى وسائل حصولهم على ما يريدونه أوما قد يسعون إليه من الربح في المال.

وعلى المائدة أيضاً الفاكهة التي تسمى في المغرب (حب الملوك) وهي جديرة بهذه التسمية، وإن كنا نسميها (الكرز) بالتكبير، وكنا أسميناها أول ما عرفناها مستوردة بالكريز- بالصغير- ومعها ماء معدني، ومعه خوخ، وعلى المائدة أيضاً كرات من اللحم المفروم المقلي، ويغمش وهو كالسنبوسك وداخله لحم.

ومع ذلك شاي بدون سكر كما هي عادتهم في تقديم الشاي، ومن أراد أن يشربه بسكر كان له ذلك بأن يحضروا له السكر مع الشاي.

وقد استرحنا في الإدارة الدينية قليلاً على هذه المائدة، وعلى أحاديث مع بعض الإخوة من أهل البلاد الذين حضروا إلينا.

ومن التناقض العجيب بالنسبة إلينا أن حمام الإدارة الدينية ليس فيه ماء، بل يحضرون لمن يريد دخوله ماءه من مكان آخر بإبريق، مع العلم بأنهم على شاطئ هذا النهر العظيم نهر سيحون أو نهر الشاش كما أسماه علماؤنا الأوائل وهو نهر عظيم يجري حتى يصب في النهاية في بحيرة خوارزم التي تسمى الآن (بحيرة آرال).

صورة التقطها المؤلف على ضفة نهر سيحون (سرداريا) للأخوين محكم ومحمد جان ومعهما رفيقنا في السفر الأستاذ رحمة الله قبل الوصول إلى خوجندة

وذكرت بهذه المناسبة أن الإدارات عندنا يوجد فيها الماء في حماماتها ومرافقها مع أن بلادنا ليس فيها أنهار لا كبيرة ولا صغيرة وهي تقطر ماء البحر وتصفيه، وقال أحد الإخوة بهذه المناسب' العبرة بالعمل والتصميم على ما ينفع، وليس بمجرد وجود الشيء وعدمه.

وتقع الإدارة الدينية وجامع مصلح الدين في قلب مدينة خجنده، بل في القسم المزدحم منها.

وليس ذلك فحسب وإنما هما واقعان في سوق للبيع والشراء مزدحم، في منطقة مزدحمة، وحتى عند باب المسجد والإدارة الدينية رأيت شيوخاً و نساء عجائز وكلهم يتاجرون بمعنى أنهم يبيعون أو يعرضون للبيع أشياء قليلة القيمة، ولكن مجرد التملك الشخصي هو جديد على أهل البلاد مع سقوط الشيوعية، لأنهم قبل ذلك لم يكن أحد منهم يستطيع أن يبيع أو يشتري شيئاً يصلح للتجارة لأن الحكومة الشيوعية تحتكر التجارة ولا ترضى أن يبيع أحد شيئاً بغرض المتاجرة وطلب الربح إلا هي، ثم قمنا بجولة على هذا المسجد الجامع الكبير فوجدناه متسعاً معتنى به، فيه رواق تقليدي ذكر الإمام محمد جان بن عثمان أنه يصلي في المسجد يوم الجمعة نحو عشرة آلاف.

فاستفسرت منه عما إذا كان المسجد يتسع لهذا العدد؟ فأجاب، نعم، إنه متسع كما ترى حتى الأروقة تمتليء وملحقاته أيضاً كلها تمتليء بالمصلين.

وعندما رأيته حسن المنظر سألته عما إذا كان رمم حديثاً فأجاب: نعم، لقد رممه حاكم الولاية (قاسم جان ببن رهبر) وقد انتهى ترميمه في عام ١٩٩٩م.

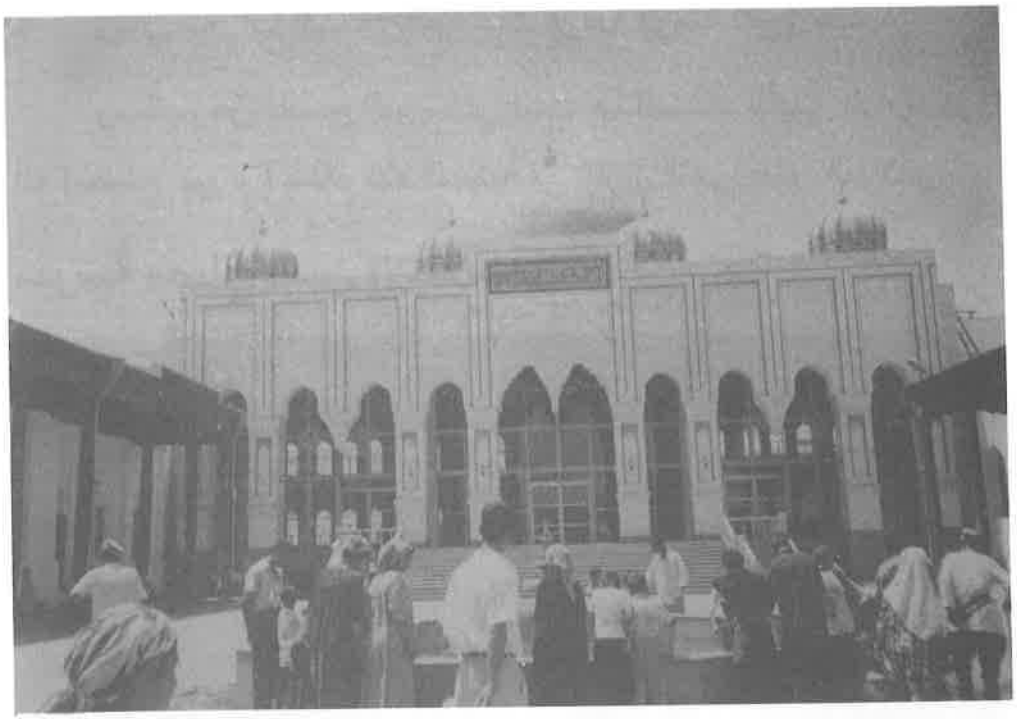

الواجهة الأمامية لجامع مصلح الدين في خوجنده

قال: وأما عدد المصلين صلاة الجمعة في زمن سيطرة الشيوعية فإنه لم يكن يزيد في هذا المسجد على ألفي مصلٍّ، وعلى المسجد لوحة بالفارسية لم أتمكن من ترجمتها، مع أن القوم رغم كون لغة بلادهم تاجيكستان هي الفارسية فإن هؤلاء القريبين في الحدود مع أوزبكستان يتكلمون بالتركية القديمة أو فرع منها، وذلك لكون المنطقة كلها تتكلم بهذه التركية أو ما تفرع منها.

ومما تفرع منها صار يعبر عنه بلغات، لأنها تباعدت فيما بينها مثل القازاقية والأوزبكية والتركمانية والقرغيزية.

وعلى محراب المسجد كتبوا آيات قرآنية كريمة دائرة عليه.

وسألتهم عن مصلح الدين الذي نسب ها المسجد الكبير إليه فذكروا أنه (مصلح نوري) حاكم هذه المنطقة في القرن الثاني عشر الميلادي.

مدرسة مصلح الدين الإسلامية:

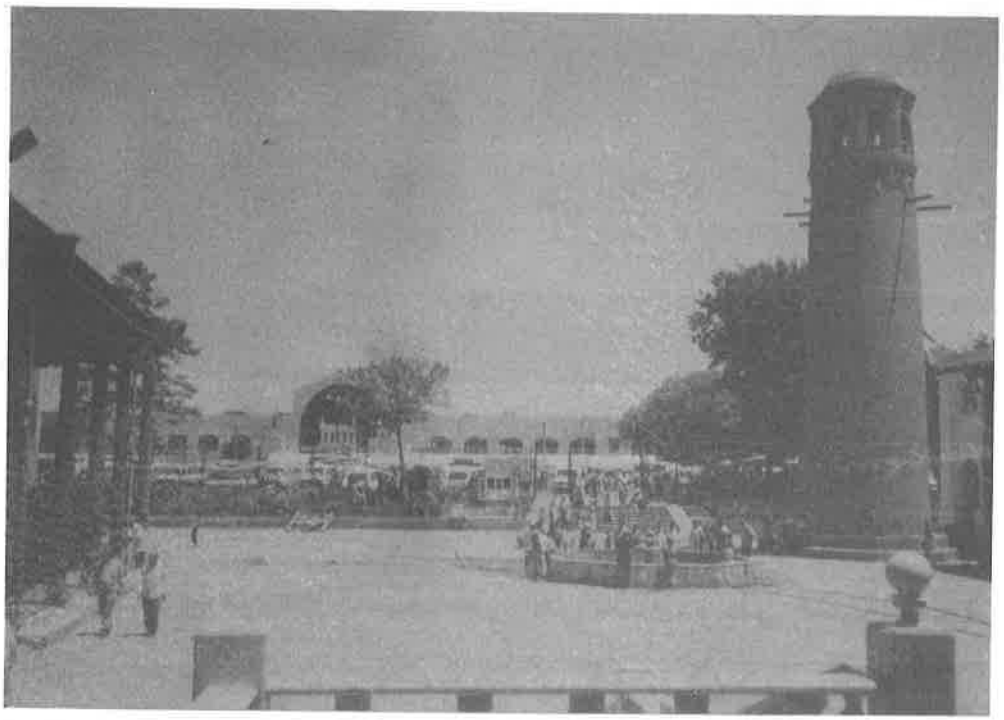

منارة جامع مصلح الدين في خوجنده

بجانب جامع مصلح الدين هذا مدرسة دينية كبيرة اسمها كما كتبوه عليها (مدرسة مصلح الدين الإسلامية) وهي جيدة بينها وبين المسجد زقاق ضيق.

ومن الطريف الذي يتعلق بما ذكرته قبلاً من شح المياه وكونها لا تدخل

إلى البيوت في هذه المدينة الواقعة، على نهر كبير أنني رأيت نساءً عدة يأتين إلى بركة في المسجد يستقين منها الماء أي يأخذن الماء في أوانٍ يحملنها إلى بيوتهن، لان بيو تهن لم يدخلها الماء أو أنه كان دخلها وانقطع عنها الآن.

وخلف المسجد قبر مصلح الدين نوري يفصل بينه وبين المسجد شارع، وقد بنوا عليه بناء قديماً لم ندخله، لئلا يظن أن ذلك اقرار منا للبناء على القبور، لاسيما أن مصلح الدين كان قد مات قبل نحو ثمانمائة سنة كما أخبرونا به.

وهذه من البدع التي حدثت في الدين، أن يبنى على قبور الصالحين أو من يعتقد الناس فيهم الصلاح وأن تعظم قبورهم، ثم الادهى من ذلك أن تبنى عليها المساجد ويقصدها الناس للتبرك، والأكبر من ذلك أن بعضهم يسأل المقبورين أن ينفعوه بحصول فائدة له أو غفران ذنب من ذنوبه أو أن يضروا أعداءه الذين ظلموه مثلاً، وهذا مما يدخله في باب الشرك الذي لا ينفع معه عمل، ولكن الإخوة الذين معنا أخبرونا بأن الناس لا يأتون إلى هذا القبر بقصد التبرك به فضلاً عن دعائه وإنما يزورنه للذكرى، والترحم على صاحبه.

تجولنا في المدرسة الإسلامية فذكروا أن طلبتها ١٦٠ طالباً وأن المدرسين فيها ١٥.

ومبنى المدرسة جيد مبني على طراز إسلامي قديم، حتى إن بابها يعتبر تحفة من التحف في نقشه وطريقة صناعته، لانه من الخشب المخروط وقد أعجبني مثلما أعجبني سقف رواق المسجد الذي هو من

الخشب المخروط، وسألتهم عن الذي عمل هذه الأمور الفنية الدقيقة من الخشب؟ فأجابو بقولهم: إنهم نجارون من أهل هذه المدينة.

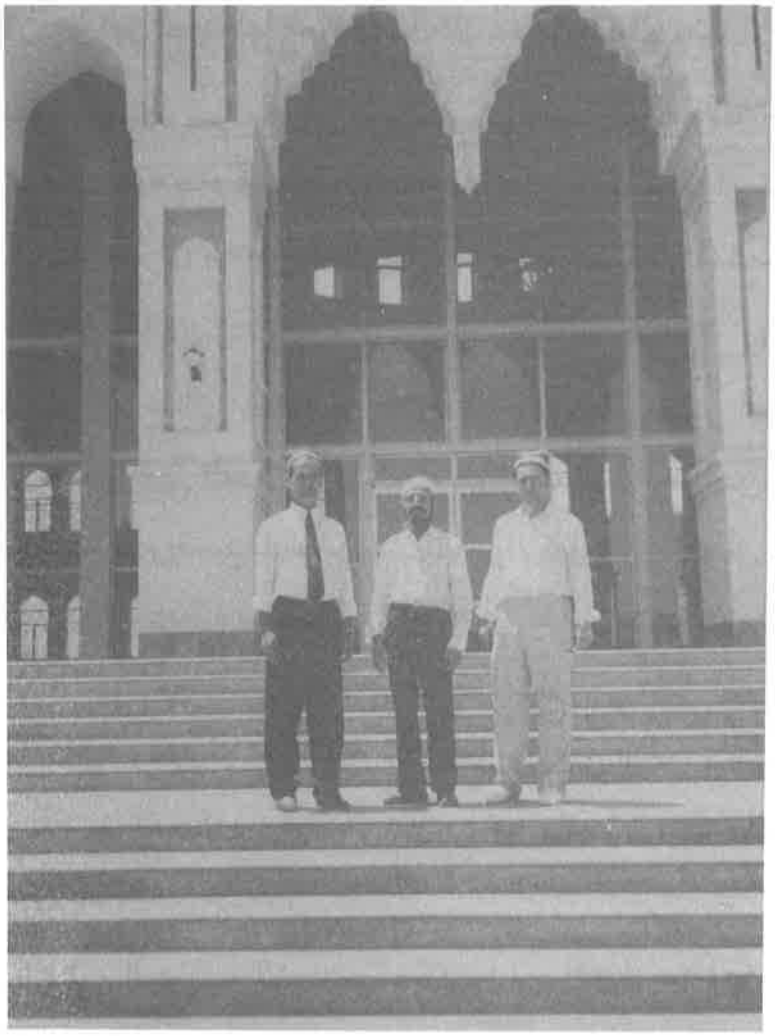

عند باب جامع مصلح الدين مع الأخوين محكم ومحمد جان

ثم عدنا إلى المسجد فوجدنا أن الذين جاءوا للصلاة فيه كثير رغم كون الأذان لم يؤذن بعد، وقد عجبت من هذا الذي قل أن يوجد في البلدان

العربية، إلا في الحرمين الشريفين، وذلك أن يأتي الناس أفواجاً للصلاة في المسجد قبل الآذان، لاسيما إذا كانت الصلاة هي صلاة الظهر مثل هذه- بل إنه كان قد امتلأ قبل آذان الظهر بربع ساعة.

وقد صورت قبة المسجد، وصلينا معهم صلاة الظهر في القسم القديم من هذا المسجد الكبير ويسمونه المسجد القديم، وقد امتلأ بالناس حتى لم يجد من تأخر منهم مكاناً له فيه مما أعجبت به ولم أكن أظن من قبل أنه يوجد في مثل هذا البلد الذي كان تحت سيطرة الحكومة الشيوعية.

وأجلت بصري في أنحاء المسجد فرأيت أن المصلين معظمهم من الشيوخ وفيهم شبان ومعهم أيضاً أطفال قليل.

أذن المؤذن لصلاة الظهر أذاناً خاشعاً فنهض الجميع لأداء السنة لم يتخلف منهم أحد حتى الأطفال قاموا لأداء السنة كالكبار وهي تسليمتان فيهما أربع ركعات.

وقد صلى الإمام بهم الظهر صلاة سريعة طبقاً لما كان مشتهراً عن الحنفية من كونهم لا يشترطون الطمأنينة في الصلاة، ولذلك تكون صلاة بعضهم سريعة خفيفة.

وقلت في نفسي، ما أجدر هؤلاء بأن يخففوا من ركعات السنة التي هي نافلة ويزيدوا ذلك طمأنينة وعدم عجلة في صلاة الفرض.

صورة للمصلين صلاة الظهر في جامع مصلح الدين في خوجنده

وبعد انتهاء الصلاة سلمت على الإمام وكنت خلفه مباشرة في الصف الاول لأن الإخوة جزاهم الله خيراً أفسحوا في هذا المكان، وكانت عليه الجبة، وعلى رأسه العمامة التي يضعها العلماء وأئمة المساجد والعاملون في الشئون الدينية على رؤسهم أثناء تأدية العمل.

ثم جاءوا بجنازة للصلاة عليها أمام الرجال فقد امتلأ المسجد بهم، لم أر أحداً خرج منهم قبل الصلاة على الجنازة، وقد التقطت صورة لهم من نافذة المسجد، وكأنهم لا يعتبرون الباحة أو ما نسميه بالسرحة سرحة المسجد وهو في الفصحى صرحة المسجد والدار، كأنهم لا يعتبرونها من المسجد، لأن من عادتهم ألا يصلوا على الميت بإدخاله إلى المسجد، وهذا رأي كثير من الأئمة القدماء، عللوا ذلك بما يخشى أن يحصل من تلويث

المسجد مما يخرج من شيء مؤذٍ من الميت.

ولكننا نحن نصلي على الجنازة في داخل المسجد منذ القديم أي قبل وجود الوسائل الحديثة في التنظيف وصيانة جسم الميت من أن يخرج منه شيء مثل الحفاظات التي توضع على الأطفال، أو أي شيء آخر يمنع تسرب شيء من الفضلات المؤذية من جسد الميت، غير أننا لم نلاحظ ذلك في الماضي.

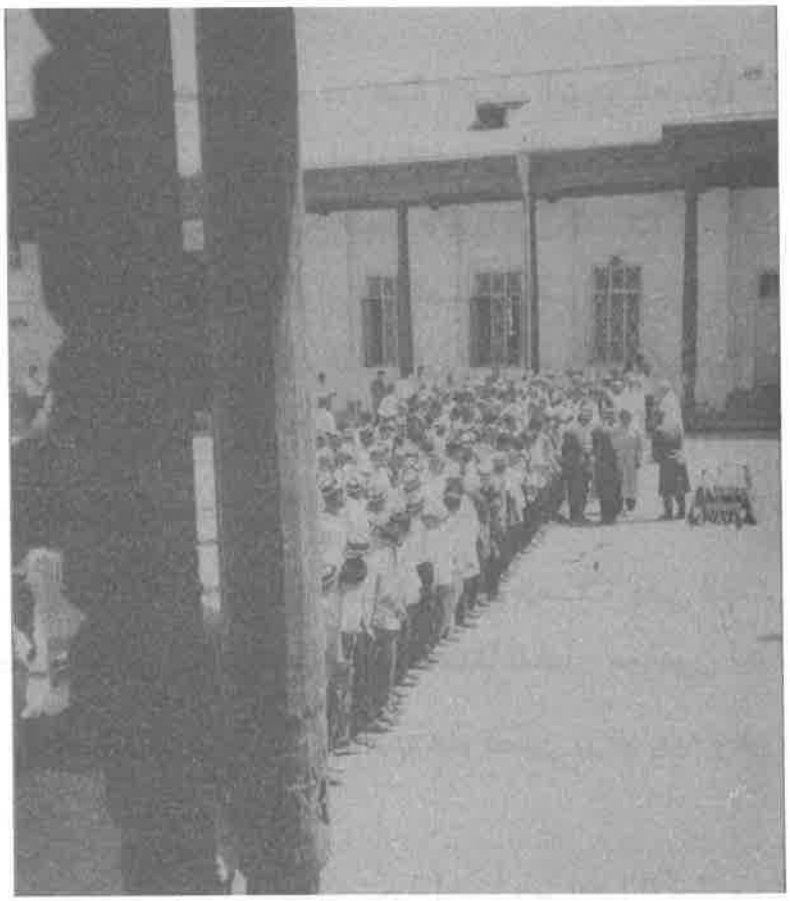

إمتلأ رواق جامع مصلح الدين عند الصلاة على الجنازة بعد صلاة الظهر إضافة إلى إمتلاء المسجد نفسه

والشيء الجدير ذكره هنا أنني حضرت صلاة جنازة في (مسجد أحرار في طشقند).

فجعلوا الجنازة في غرفة واسعة معدة لذلك تفتح على الحائط القبلي للمسجد فوقف الإمام عليها للصلاة وهو خارج المسجد في تلك الغرفة وبابها الواسع مفتوح فصلى يشاهده أهل المسجد، وبخاصة من كان مثلنا في الصف الأول في ذلك المسجد.

ومع ما ذكرته من عدم كراهية إدخال الميت للصلاة عليه في المسجد نفسه، فقد صار بعض أهل المساجد الكبيرة يضعون مثل هذه الغرفة ذات باب عريض يضعون الجنازة فيها قبل الصلاة ويغلقون بابها، فإذا انقضت صلاة الفرض، وأرادوا الصلاة على الجنازة فتحوا بابها وانتقل الإمام إليها فصلى عليها والناس في المسجد يصلون عليها بصلاته.

وفي هذا المسجد الخوجندي، صار الإمام يعظ الناس وهم وقوف قبل بدء الصلاة على الميت والظاهر لي أنه ذكر الميت بالاسم وهذا يفيد ليعرفه الناس.

وبعد إنتهاء الإمام من الموعظة دخل في الصلاة على الجنازة بمثل ما هو معمول به من الصلاة على الميت عندنا تماماً ، من دون اختلاف.

وبعد الصلاة مباشرة دعا الإمام بدعاء قصير برفع يديه وهو والناس خلفه يفعلون مثل ذلك ثم تفرقوا.

وعدنا إلى الإدارة الدينية بصحبة أخينا ومرافقنا الأمام محمد جان بن عثمان وكان قد لبس الجبة والعمامة من أجل حضور الصلاة فخلعها في الإدارة الدينية.

الرواق القديم في جامع مصلح الدين في خوجنده

ثم انتقلنا إلى مائدة الغداء في الإدارة الدينية نفسها وأحضروا أرزاً بخارياً ذكروا أنه يطبخ في هذه المدينة وإن له طلباً خاصاً والرز البخاري لابد من أن يكون فيه جزر كثير يطبخ معه على هيئة شرائح، ولابد من أن يكون فيه دسم كثير لكي يقاوم الدسم بردوة الجو، هذا كان الأصل في تناولهم الطعام الدسم، وربما كان الأمر عندهم في القديم أيضاً أنهم لا يأكلون هذا الطعام الدسم مثل الأرز البخاري في كل يوم.

وهذا أي مقاومة الدسم للبرد صحيح وثابت علمياً لأن الدسم يكون طبقة رقيقة حول الجلد تساعد على مكافحة البرد.

وأرزهم (البخاري) هذا وإن لم يكونوا في مدينة بخارى ولا طبخوه فيها هو دسم لذيذ ومعه لحم جيد من لحمهم الذي هو من أغنام ترعى أعشاباً طبيعية، وليست مغذاة بأعلاف اصطناعية، كما هي عليه الحال في بعض الدول المتقدمة التي تربي الغنم في مزارع تربية قصد منها تسمينها، وتعظيمها أي جعلها عظيمة حتى يقبل عليها المشترون.

وبعد ذلك قدم الشاي المعتاد بدون سكر ولكنهم أحضروا السكر معه لمن أراد.

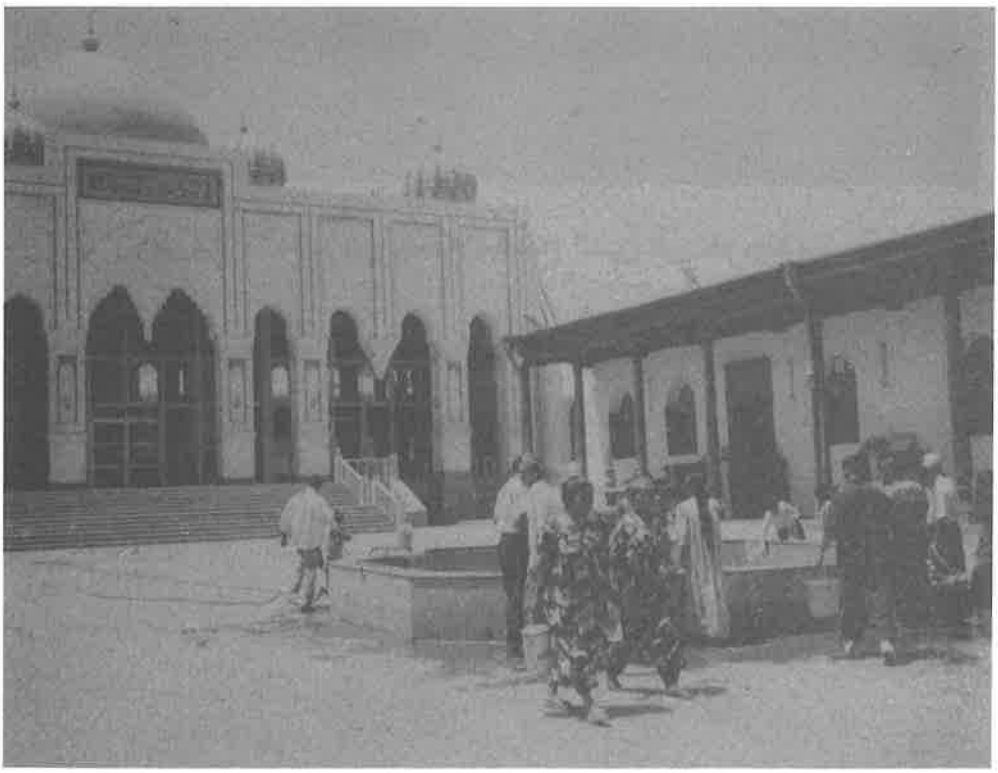

نساء يأخذن الماء لبيوتهن من بركة جامع مصلح الدين في خوجنده

وعندما قربت مفارقتنا للإدارة الدينية ومنطقتها بعد أن شفينا النفس من رؤيتها وما حولها وحصلنا على معلومات جيدة عنها قدمنا مبلغاً رمزياً هو ألف دولار أمريكي للمسجد وألف دولار أمريكي أيضاً للمدرسة، وذلك لكوننا لا نحمل مبالغ كبيرة ووعدناهم بانه إذا صار لديهم مشروع جديد للمسجد أو المدرسة فإن بإمكانهم أن يكتبوا إلينا في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة بذلك وأعطيناهم عنواننا وسوف تنظر الرابطة في ذلك وتخبرهم بما تراه نحوه.

جولة في خوجنده:

في الساعة الواحدة والنصف ظهراً كنا نغادر الإدارة الدينية للقيام بجولة على مدينة (خوجنده) ورؤية معالمها مع أخينا الإمام الخطيب(محمد جان بن عثمان) واثنين آخرين أحدهما الأستاذ محكم بن كمال الذين الذي استقبلنا في الحدود.

واتضح لنا من مشاهدة المدينة لأول مرة بأنها خضراء خضرة زراعية، يشرف عليها جبل آجرد أي خالٍ من الخضرة، مما يدل على أن خضرتها سببها هذا النهر العظيم سيحون الذي يسمونه الآن (سرداريا) فهو هنا لهم شبيه بالنيل لمصر.

فنهر سيحون هو أهم شيء في المدينة، فهو أهم معالمها رغم كونه طبيعياً لا أثر لصنعة الإنسان فيه إلا فيما زرعه عليه من زرع أو أشجار، وقد فعلوا ذلك منذ القديم فقد ذكر أسلافنا من المؤرخين العرب الأقدمين مدينة (خوجنده) هذه وذكروا أنها واقعة على نهر سيحون، وذكروا أن الخصب الكثير بسبب ذلك النهر الكبير.

سوق الخميس في خوجنده

مررنا بحديقة يسمونها حديقة البلدية ورأيت فهيا نساء يعملن في أرضها معهن المساحي – جمع مسحاة- وهي المجرفة طويلة الأنصاب- جمع نصاب- وهو المعروف الآن بيد المسحاة أو المجرفة، فهو أطول من نصاب المسحاة عندنا، ولا شك في أن الحكمة في ذلك لئلا يضطر الذي يعمل بها إلى حني ظهره لمدة طويلة عند العمل بها.

وهؤلاء النساء يعملن في عزق الارض أي تحريك تربتها بهذه المساحي، المجارف، وهو عمل شاق وبخاصة على المرأة، ولكنهم يفعلون ذلك بحجة تحرير المرأة ومساواتها للرجل وهذه مساواة في الشقاء كما ترى.

شارع في ضواحي خوجنده

ويحف بنهر (سيحون) من جهة الشرق مصانع، بعضها تنفث مداخنه الدخان، وهي في لحف الجبل الأجرد من النبات الواقع إلى الشرق من النهر.

قلعة خوجنده:

تقع على هذا الجبل الشرقي قلعة حصينة قديمة اسمها (قلعة خوجنده) والغريب أنهم ذكروا أنها الآن تابعة لجامعة (خوجنده) وذلك بعد أن بطلت الحاجة إليها في الدفاع عن البلاد.

فالجامعة تصونها لكونها أثراً من الآثار القديمة، وتنتفع بما فيها من المباني كما أخبرونا، وذكروا لنا أن هذه القلعة بنيت في القرن الخامس عشر.

ويرممون الآن السور القديم، وبجانبه بقايا سور قديم من الطين مثل الذي كان موجوداً عندنا فهو غليظ غير رشيق.

محلة ملك التوت:

وصلنا إلى محلة اسمها عندهم (تك شاه توت) وشاه: ملك بالفارسية التي هي لغتهم، وتوت هو التوت ذو الفاكهة التي هي أولى الفواكه إدراكاً فهي تنضج مبكراً بعد أن يذهب البرد قبل غيرها من الفواكه وثمرها نوعان أحمر وابيض وكله معروف ينتفع منه، ولكنهم ينتفعون بالتوت نفعاً آخر وهو أنهم يربون على أوراقه دود القز الذي هو الحرير الطبيعي، وهو الذي تشتهر هذه المنطقة من بلاد ما وراء النهر بكثرة انتاجه وهو معروف عالمياً بجودته.

ذكروا أن المحلة سميت (ملك التوت) لأن فيها شجرة معمرة من أشجار التوت يحافظون عليها لكونها معمرة.

ريف خوجنده وأشجار التوت فيه على الطريق

ونوهوا بأن هذه المحلة كانت في القديم تقع على شاطئ نهر سيحون (سرداريا) مباشرة، ولكن النهر ابتعد الآن عنها.

وأكثر بيوت هذه المحلة من الطين مما يؤكد الطبيعة الصحراوية لجوها، وأنه جاف، ولو كان جواً رطباً لما عاشت بيوت الطين فيه، لأن المطر يهدمها، ورأيتهم مثلما كان عندنا في القديم يبنون بيوت الطين بلبن من الطين يخلطون الطين ويضعونه في (ملابن: جمع ملبن) وهو للطين كالقالب للمعادن ثم يتركونه في الشمس ليجف حتى إذا جَفَّ بنوا به البيوت كما يبني الناس بيوتهم بالآجر أو لبن الأسمنت.

وهذه المحلة هي التي يسكن فيها مرافقنا الإمام الخطيب (محمد جان بن عثمان).

وفيها مسجد (خوجه روشني) وجدنا في انتظارنا عند المسجد المتولي بمعنى رئيس جمعية المسجد الأخ (عالم جان حامد) ونائبه في الجمعية والإشراف على عمارة المسجد الأخ (صالح تاروف).

والمسجد قديم يعملون على ترميمه الآن، ولكنهم وقفوا عن ذلك بسب قصور النفقة.

وأنشدني أحد المرافقين من أهل (محلة شاه توت) بمعنى ملك التوت بيتاً من الشعر هو:

أكلنا توت (الشاه توت) بأفخر ما رأيت كبير وزن

والمحلة جيدة، بل هي جنة الآن لأن فيها عدة فواكه، وليست

مقتصرة على التوت الذي سميت باسمه ففيها مع التوت الخوخ والمشمش والعنب، وكل ذلك في بيوتها وليس في مزارع لأنها محلة مسكونة، مع أن بعض بيوتها من الطين إلا أنها أساساتها من الآجر لأنه الذي يصبر على النز والرطوبة.

ولاحظت من المتناقضات ما يلاحظ المرء مثله في دمشق- على سبيل المثال- وهو أن الكبيرات من النساء بمعنى المسنات على رؤوسهن مناديل كبيرة كالغتر- جمع غترة- عندنا لتستر شعر المرأة، على حين كون الشابات لا يسترن رؤسهن، فضلاً عن كون الجميع من شابات ومُسنَّات لا يغطين وجوههن.

فأكثر اللاتي رأيتهن هنا من النساء المسنات يغطين رؤسهن بمناديل.

حي حضرتي بابا:

هذا حي شعبي عريق ولكنه أصيل محافظ بسكانه وطراز البناء فيه على القديم في (خوجنده) اسمه (حضرتي بابا).

سمي على اسم صوفي اسمه (بابا كمال خوجندي).

كان أول ما وقفنا عليه من الحي المسجد المسمى باسمه أيضاً وهو (حضرة بابا كمال خوجندي) وهو مقبور بجانبه، ولكنه ليس ملاصقاً له تماماً بل بينهما فراغ.

ومن المفجع أن المسجد قد ترك خراباً يباباً قد تراكمت عليه الأوساخ، وركبته الأقذار، وأما الضريح الذي هو قبر هذا الصوفي

المتصوف الذي مات قبل ثمانمائة سنة كما أخبرونا بذلك فإنه عامر قد جدد بناؤه واحتفى به الناس أكثر من احتفائهم بالمسجد.

وكان المسجد والقبر قد أهملا حتى خربا في زمن الحكم الشيوعي، على اعتبار أنهما من الأمور الدينية التي كان الشيوعيون الملحدون يحاربونها، وعندما سقطت الشيوعية، وهجرها أهلها بادر محبو المقبورين والمبتدعون بإصلاح البناء الذي لا يجوز وهو المقام على قبر هذا الصوفي المتوفي قبل ثمانمائة سنة وتركوا المسجد مهجوراً قد ركبته الأوساخ وصار قرة عين الملحدين ومبغضي الدين وأهل الدين، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

والواجب على العلماء وبخاصة المسئولين عن الإدارة الدينية أن يبادروا إلى عمارة المسجد، وإلى هدم هذا البناء البدعي على القبر ولا بأس بإبقاء القبر نفسه على ما هو عليه ليتميز عن غيره، وليسلم على صاحبه من يعرفون عنه الصلاح أو يعتقدونه فيه.

وإذا اعتذروا- وليس لهم عذر- بأن هدم هذا البناء على القبر قد يثير العوام وغير ذوي البصيرة من طلبة العلم كان يمكنهم أن يتركوه على حاله من دون أن يهدموه ويعيدوا بناءه أو يجددوه، حتى صارت العامة تتجه إليه دون المسجد لعدم معرفتها بالصحيح وغير الصحيح من هذا الأمر.

والبناء على القبر لم يحدث إلا بعد موت صاحبه بنحو أربعمائة سنة، كما أخبرنا الأخوة بأن (بابا كمال) هذا توفي في القرن الحادي عشر الميلادي، وأن البناء على قبره لم يكن إلا في القرن الرابع عشر، فهو إلى جانب مخالفته للأوامر الشرعية يحدث في وقت انتشار البدع والخرافات،

وضعف الدعوات الواضحة بالعودة إلى نقاء الإسلام، والنهي عن تعلق القلوب بغير الله تعالى، سواء من المقبوريين أو الأحياء أو غيرهم فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ومما يهون الأمر قليلاً أن القبر ليس متصلاً بالمسجد وإنما يفصل بينهما حديقة صغيرة.

وأخبرنا الإخوة المرافقون وهم من طلبة العلم العارفين الذين يعتمد على قولهم في مثل هذه الأمور أن الشيوعيين كانوا صادروا هذا المسجد وجعلوه مخزناً، ولكنه خرب فلم يصلحوه، والآن نصف سقفه ساقط على الأرض ولم يجد من يصلحه، ولذلك لا يصلى فيه.

ويقع المسجد إلى جهة الجنوب من القبر بجانب أشجار مما يعرف هنا بالجنار وهي أشجار معمرة تعظم وتبقى مئآت السنين، وذكروا أن الأشجار هذه التي بجانب المسجد ربما كان عمرها ثلاثمائة سنة، ولكنني أظن أنه أكثر من ذلك لأنني رأيت في كشمير وفي بعض أقطار جبال القوقاز أشجاراً ضخمة من أشجار (الجنَار) هذه قد كتبوا عليها: أن عمرها يصل إلى سبعمائة سنة، وبعضها عمرها ٦٠٠ سنة.

ولأشجار (الجنَّار) هذه اسم عربي فصيح معروف عند المتقدمين، ولكنه جهله المتأخرون من مثقفينا المعاصرين وهو (الدُّلب)- جمع دُلبة.

وقد احتفوا بالدفين (بابا كمال) هذا فأسموا شارعاً مهماً في الحي باسم (شارع كمال) ولم أتيقن مماإذا كان ذلك بالفعل صادراً عنهم احتفاءً

بالمذكور أم إنه جاء مصادفة لكونه في الحي الذي فيه قبر (بابا كمال).

ولكنني رأيت في الحي حديقة اسمها (حديقة كمال) أيضاً إما على اسم الحي أو على اسم دفين الحيّ.

شارع (قل بهار) ومعنى ذلك ورود الربيع باللغة الفارسية التي هي لغة تاجيكستان الرسمية، وإن كان أهل خجندة ومنطقتها يتكلمون الأوزبكية، فإنهم يعرفون اللغتين ويتكلمون بهما معاً في هذه المنطقة التي يصح أن تسمى منطقة فرغانة، لأنها واقعة في طرف وادي فرغانة الشهير الذي يقع معظمه في جمهورية أوزبكستان وعاصمته مدينة (فرغانة) زرتها وذكرت زيارتي لها ووادي فرغانه نفسه ماعدا مدينة خوجند هذه، وذكرت ذلك في كتاب: (يوميات آسيا الوسطى) وهو كتاب مطبوع، وشارع (ورد الربيع) واسع ويخترق وسط المدينة الحديثة وإن كانت حداثتها مقيدة بكونها ليست القسم القديم من المدينة، لأن المدينة في زمن الحكم الشيوعي لم تكن تنمو كما تنمو المدن في البلدان غير الشيوعية.

وعندما كنا نسير في هذا الشارع كنا نشاهد على إيماننا مدخنتان تنفثان الدخان وهما لمصنع هناك كبير للحرير الصناعي، والمصنع واقع بين الأشجار والبيوت.

وهذه عادة عرفناها من الشيوعيين ألا يبعدوا المصانع غير العسكرية من البيوت، وتجمعات السكان رغم كونها تضرهم لأنهم لم يكونوا يبالون بضرر ا لناس أو غضبهم، إذا لم يكن يترتب على ذلك خطر يمس نظامهم الشيوعي.

قبل مغادرة خوجنده:

أحببت أن أنقل هنا بعض ما دونه أسلافنا العظام عن مدينة خوجنده في أوقات كانت الاتصالات المباشرة بين البلدان الإسلامية معدومة، ما عدا اتصال العلماء وطلبة العلم بالمشايخ والعلماء الآخرين الذين يغيدونهم من طلب العلم أو في رواية الحديث بأسانيد عالية.

وهذه النصوص تؤكد قدم مدينة (خوجنده) وبقائها باسمها القديم على مدى القرون، كما تبين أهميتها التي وصلت إلى أقصى العالم الإسلامي من جهة الغرب كما نرى ذلك في أول نص ننقله عنها وقد كتبه ابن حوقل في كتابه: (صورة الأرض)، قال:

الباب الخارجي لجامع مصلح الدين وقد إمتلا بالخارجين بعد صلاة الظهر (تصوير المؤلف)

وأما خجنده فإنها متاخمة لفرغانة وهي في جملتها وهي منفردة في الأعمال، وهي على نهر الشاش في غربيّه وطولها أكثر من عرضها وكند على فرسخ منها وكلّها كروم وبساتين وليس في عملها مدينة غير كند، وبساتينها ودورها متفرّقة، ولها قرى يسيرة ومدينة وقهندز وجامعها في المدينة ودار الإمارة في الميدان بالربض والحبس في القهندز، وهي مدينة نزهة بها فواكه حسنة، وفي أهلها جمال ولهم مروؤة وهي مدينة تضيق عمَّا يعمُّهم من الزروع فيُجلب إليهم من سائر فرغانه و(أشر وسنه) ما يقيم أودهم، وتنحدر إليهم السفن من نهر الشاش وهو نهر عظيم ويعظُم من أنهار تجتمع إليه في حدود الترك والإسلام، وعموده نهر يخرج من بلد الترك في حدود أوزكند، ثم يجتمع إليه نهر خرشاب ونهر أورست وقبا ونهر جدغل وغيرها فيعظم ويغزر ماؤه ويمتدّ على اخشيكت ثم على خجنده ثم على بناكت ثم على ستكند، فيجري إلى باراب وإذا جاوز حدّ صبران جرى في برّيّة تكون في حاشية بلد الأتراك الغُزّيُة فتمتدّ إلى القرية الحديثة على فرسخ منها ثم يقع في بحيرة خوارزم على مرحلتين من القرية الحديثة، وهو نهر إذا امتدّ يكون نحو ثلثي جيحون وتحمل فيه المير إلى القرية الحديثة إذا كانت الهدنة وكان الأتراك في صلح للمسلمين، وبالقرية الحديثة مسلمون غير أنها دار مملكة الغُزيّة ويقيم بها في الشتاء ملك الغُزّية وبقربها جند وخواره، وبهما من المسلمين تحت سلطان الغُزّية وأكبر هذه الثلاثة المواضع القرية الحديثة وهي من خوارزم على عشر مراحل ومن باراب على عشرين مرحلة.

وفرغانة اسم الإقليم وهو عمل عريض موضوع على سعة مدنها وقراها و قصبتها اخشيكت، وهي مدينة على شطّ نهر الشاش على أرض مستوية بينها وبين الجبال نحو نصف فرسخ، وهي على شمال النهر ولها قهندز في مدينتها ولمدينتها ربض ودار الإمارة والحبس في القهندز والجامع خارج القهندز، ومصلى العيد على شط نهر الشاش واسواقها في مدينتها وربضها، وأكثر الأسواق في مدينتها ومقدارها في الكبر نحو ثلث فرسخ وبناؤها من طين، وعلى ربضها سور، وللمدينة الداخلة أبواب: أحدها باب بجير والآخر باب المرقشه وباب كاسان وباب الجامع وباب رهابه.

وفي مدينتها وربضها مياه جارية وحياض كثيرة وكل باب من أبواب ربضها يُفضي إلى بساتين ملتفَّة وأنهار جارية لا ينقطع مقدار فرسخين، وبحذائها إذا عبرت نهر الشاش مروج ومراعٍ كثيرة ورمال مقدار مرحلة، ويلي اخشيكت في الكبر قبا وهي مدينة من أنزه تلك المدن وتقارب أخشيكت في الكبر، ولها قهندز ومدينة وربض والقهندز خراب والجامع في القهندز وأسواقها في ربضها ودار الإمارة والحبس في الربض، وعلى الربض سور محيط به ولها بساتين كثيرة ومياه تزيد على مياه اخشيكت وبساتينها، ويلي قبا في الكبر أوش ولها مدينة عامرة وقهندز عامر ودار الإمارة والحبس في القهندز، وللمدينة ربض وعلى الربض سور وهي ملاصقة للجبل الذي عليه المرقب للأتراك الذي تُحرس فيه مقانيهم وسرحهم، ولها ثلاثة أبواب، فباب الجبل وباب الماء وباب مغكذه وأبواب المدينة محصَّنة.

وأوزكند آخر مدن فرغانة مما يلي دار الكفر وهي نحو ثلثي أوش ولها قهندز ومدينة محصَّنة وربض والأسواق فيه، وهي متجر على باب الاتراك ولها بساتين ومياه جارية، وليس بفرغانة مدينة إلا ولها قهندز وهي محصَّنة ذات بساتين ومياه جارية.

وليس بما وراء النهر أكثر قرّى من فرغانة وربما بلغ حد القرية مرحلةً لكثرة أهلها وانتشار مواشيهم و مراعيهم، ومن كور فرغانة: نسيا العليا ونسيا السفلى واسبره ونقاد وميان روذان وجدغل وأورست وبسفر واشت، فأمَّا نسيا العليا فهي أول كورة من فرغانة، إذا دخلتَ إليها من ناحية خَجنده ومن مدنها وانكت وسوخ وخوا كنده، ورشتان، ونسيا السفلى تتصل بها ومن مدنها: مرغينان وزندرا مش ونجرنك واستيقان واندكان وهلي، وهاتان الكورتان سهل ومروج وليس في أضعافهما جبال وأسبرة سهليّة جبليّة ومن مدنها جماخس وبامكاخس، وسوخ مدينة على حدة من الجبال ولها ستون قرية وهي كورة جليلة منفردة بأعمالها وحالها وما هي عليه من وفور عدة أهلها.

وأوال اسم المدينة ولها قرّى وهي كورة منفردة منعزلة، ونقاد مدينة جبلية وهي باسم الكورة ومدينتها مكان وليس لها مدينة غيرها.

وأوش اسم المدينة وكذلك قبا ولهما قرى غزيرة العَدد كثيرة العُدد، وليس في حدّ قبا مدينة غيرها ولا يتصل بها عمل سواها، وفي حدّ أوش مدينة أخرى تسمَّى مدوا، وأوز كند اسم المدينة ولها إقليم واسع وقرّى فسيحة وليس في عملها مدينة غيرها، وكاسان امس المدينة واسم الناحية أيضاً، ولها قرى ومزارع وماشية وسوائم.

وجدغل اسم الكورة ومدينتها أردلانكث وليس في عملها مدينة غيرها.

ويمان روذان اسم الكورة ولها قرّى وافرة وغلاَّت غزيرة ومدينتها خيلام، وبها مولد أبي الجيش نصر بن أحمد في دار خير بن أبي الخير.

وكروان اسم المدينة و لها ناحية فسيحة وقرى ذات عمارة، ونجم اسم لقرًى هناك مجتمعة كثير بصقع هناك فيه من الرجال والكراع والحُماة ما يحمونه ويمنعونه ممّن أراده، وأورست لها قرى كثيرة، واستيكاند وشلات فلهما قرى وهما بابان للترك ويفضي إليهما من ميان روذان كما أن أوز كند باب الترك، ويُعرف هذا الموضع بهفت ده يعني سبع قرى كانت للأتراك فافتتحت في هذا العصر قريباً وهي قريبة من أوزكند وصارت للإسلام.

أنتهى كلامه.

ويلاحظ أنه ذكر أسماء مدن عديدة بعضها معروف لنا وزرته مثل (أوش) وبعضها مجهول وبعضها يعرفها أهلها دون غيرهم، وذكر مصطلحات عديدة مثل (قهندز) وهو القلعة الواسعة التي تشبه البلدة يكون عليها سور ويسكنها الملك وحاشيته وتكون محصنة ومثل قوله كفار الأتراك: لأن وادي فرغانة، وما حولها كان هو حد البلدان الإسلامية في زمن ابن حوقل قبل ألف عام وقد أسلم أولئك جميعاً ومنهم القازاق ووصل الإسلام شمالاً حتى مشارف القطب الشمالي ولله الحمد.

القهندز في بخارى

وقال الشريف الإدريسي:

والطراز واطلخ وشلجي وكدر وستكند وشاوغر وصبران ووسيج.

فأما سبانيكث فإنها قصبة كورة كنجدة وأما كدر فإنها قصبة باراب ووسيج أيضاً من بلاد باراب وصبران هي مدينة تجتمع بها الغزية للصلح والهدنة والتجارات إذا انعقد الصلح بينهم وباراب اسم الناحية ومقدارها في الطول والعرض أقل من يوم ولها منعة وبأس وهي ناحية متخية ذات غياض ومزارع.

وستكند بها منبر وهي مجتمع للأتراك وهي على ضفة الوادي ويصب نهر برك بمقربة منها وهي في الجانب الغربي من الوادي وبين

باراب وكنجدة مزارع ومراع خصيبة وحولها أمم من الأتراك الغزية قد أسلموا منذ عهد قديم وهم مقيمون بهذه الناحية ينتجعون هذه المراعي وكذلك مدينة الطراز فهي متجر للمسلمين وبين الأتراك وبينهم حصون منسوبة إليهم ويليهم من شمالها الترك الخرلخية وبينهم في أكثر الأوقات حروب وغارات وإذا كانت الهدنة كانت بينهم تجارات ومعاملات بالأمتعة والسائمة والأوبار وغير ذلك.

وأما (خجندة) فإنها متاخمة لفرغانة وهي في جملتها منفردة في الأعمال وهي في غربي نهر الشاش وطولها أكثر من عرضها ومدينة كند من خجندة على ثلاثة أميال وهي حسنة جليلة وكلها كروم وبساتين وليس في عملها مدينة غير كند وهي بساتين ودور متقربة ومدينة وقصبة وجامعها في المدينة ودار وافرة ومنها إلى سمرقند سبعة وعشرون ميلاً، وكذلك من خراقانة أيضاً إلى زامين سبعة وعشرون ميلاً، وزامين في طريق فرغانة من سمرقند وهي مدينة عامرة القطر كثيرة البشر حصينة لها سور وخندق وأرزاق كثيرة، ومنها غرباً إلى اباركث تسعة و ثلاثون ميلاً، ومن أباركث إلى سمرقند اثنا عشر ميلاً، وهي مرحلة خفيفة، ومن خرقانة إلى ديزك خمسة عشر ميلاً وديزك مدينة في السهل، ولها رستاق ويعرف بفكنان وهي في شمال أشروسنة، وبها يرابط أهل سمرقند، ولها برك ماء جار وبساتين وعمارات، ومن زامين إلى خجندة مشرقاً على طريق خاوس وكركث، فمن زامين إلى كركث تسعة وثلاثون ميلاً عن يسار الذاهب إلى فرغانة، ومن خرقانة إلى أرسيانيكث على حدود فرغانة سبعة وعشرون ميلاً، وأرسيانيكث مدينة جليلة المقدار صغيرة حسنة

البنيان والاسواق والديار، ولها بساتين وعمارة وهي من بونجكث على سبعة وعشرين ميلاً، ومن بونجكث إلى فغكث تسعة أميال، وهي مدينة صغيرة لها سوق ولا منبر لها ومن فغكث إلى غزق وهي قرية عامرة تجارية ستة أميال، ومن غزق إلى خجندة ثمانية عشر ميلاً.

ومدينة (خجندة) متاخمة لفرغانة وهي مدينة حسنة عامرة كثيرة الاهل قائمة الأسواق فيها صنائع وجمل بضائع وأهلها مياسير، وهي على غربي نهر الشاش لكنها منفردة في أعمالها وبها مزارع مشتبكة وخيرات وافرة، ويلي مدينة بونجكث المتقدم ذكرها مدينة مرسمندة، وهي حسنة البقعة جليلة المساكن كثيرة الخيرات، وليس لها بساتين ولا كروم، والأشجار بها قليلة لكثرة البرد، ولها سوق في رأس كل شهر مرة مشهود يأتي إليه أهل تلك النواحي للبيع والشراء، وهي سوق مشهورة وبين مرسمندة ونوجكث يومان وبين مرسمندة وحصن مينك مرحلة كبيرة، وخارقانة وزامين وساباط هي كلها على طريق فرغانة إلى الشاش.

وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان:

خُجَنْدَةُ: بضم أوله، وفتح ثانيه، ونون ثم دال مهملة، في الإقليم الرابع، طولها اثنتان وتسعون درجة ونصف، وعرضها سبع وثلاثون درجة وسدس، وهي بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطئ سيحون، بينها وبين سمرقند عشرة أيام مشرقاً، وهي مدينة نزهة ليس بذلك الصُّقْع أنزه منها ولا أحسن فواكه، وفي وسطها نهر جار، والجبل متصل بها، وأنشد ابن الفقيه لرجل من أهلها:

ولـــم أرَ بلـــدة بـــإزاء شـــرقٍ

ولا غـــربٍ، بـــأنزَهَ مـــن (خُجَنـــدَه)

هـــي الغـــرَّاءُ تُعجـــب مـــن رآهـــا

وهـــــي بالفارســـــية دلْ مَزَنْـــــدَهْ

وكان سَلْم بن زياد لما ورد خراسان ليزيد بن معاوية ابن أبي سفيان أنفذ جيشاً، وهو نازل بالصغد إلى خجندة، وفيهم أعشى همدان فهزموا، فقال الأعشى:

ليت خيلي يوم (الخجندة) لم تُهـ

ـزَمْ، وغودرتُ في المكَر سليبات

وقال الإصطخري: خجندة متاخمة لفَرغانة، وقد جعلناها في جملة فرغانة وإن كانت مفردة في الأعمال عنها، وهي في غربي نهر الشاش، وطولها أكثر من عرضها، تمتد أكثر من فرسخ، كلها دور وبساتين، وليس في عملها مدينة غير كَند، وهي بِساتين ودور مفترشة، ولها قرى يسيرة ومدينة وقُهُنْدُز، وهي مدينة نزهة فيها فواكه تفضل على فواكه سائر النواحي، وفي آهلها جمال ومُرُوءَةٌ.

صورة للمؤلف على ضفة نهر سيحون (سرداريا) وهو نهر الشاش بين الأخوين محكم ومحمد جان من أهل خجندة

وهو بلد يضيق عما يمونهم من الزروع فيُجلب إليها مْن سائر النواحي من فرغانة وأشروسنة أكثر من سنة ما يقيم أودهم، تنحدر السفن إليهم في نهر الشاش، وهو نهر من أنهار تجتمع إليه من حدود الترك والإسلام، وعموده نهر يخرج من بلاد الترك في حَدّ أوزْكَند ثم يجتمع إليه نهر خوشاب ونهر أوش وغير ذلك، فيعظم ويمتد إلى أخيكث ثم على خجندة ثم على بِنفكَث ثم على بيسكَنْد فيجري إلى فاراب فإذا جاوز صبران جرى في بريّة تكون على جانبيه الأتراك الغُزيّة فيمتد على الأتراك الغزية الحديثة حتى يقع في بحيرة خوارزم، وينسب إليها جماعة وافرة من أهل العلم، منهم: أبو عمران موسى بن عبدالله المؤدب الخجندي، كان أديباً فاضلاً صاحب حِكَم وأمثال مدونة مروية، حدث عن أبي النصر محمد بن

الحكم البزاز السمرقندي وغيره.

وقال الحميري صاحب الروض المعطار:

خجَندة: من مدن فرغانة وعلى نهر ياتي من الجنوب، وهي متاخمة لفرغانة وهي في غربي نهر الشاش، وطولها أكثر من عرضها، وهي منضافة إلى فرغانة إلا أنها منفردة عن الأعمال، بقهندز (جخندة) وجامعها في المدينة، وهي حسنة المنصبُ كثيرة المنتزهات طيبة الفواكه وبها رمّان لا يعدل به يشف حبه لرقة قشره، وفي أهلها جمال ظاهر ومروءة بواطن، وزروعها لا تقوم بأهلها فهي تمار من فرغانة وأشروسنة وتنحدر إليهم السفن من نهر الشاش، وهو نهر عظيم تجتمع فيه أنهار من حدود بلاد الترك والإسلام، ووراء جخندة مما يلي الشمال جبل شاهق مطل عليها يسمى شاوعر.

انتهى كلام البلدانيين عن خجندة.

ومعنى اسم (خوجندة) اختلف فيه اهل العلم والبحث من أهلها ومن أهل تاجيكستان الذين التقينا بهم على قولين رئيسيين: أحدهما أن معناه: مكان الأشراف الطيبين، وأنه ركب في الأصل من (خوب) بمعنى طيب أو جيد بالفارسية ومن جندا بمعنى مكان بهذه اللغة.

وهذا هو المفهوم من اللفظ باللغة الفارسية.

أما الثاني: فهو المفهوم من اللفظ باللغة التركية القديمة، وما تفرع منها من لغة أوزبكستان الحالية وهو (فوج كند) بالفاء لا بالخاء والفصيح ومعناه: قرية فوج، وفوج طيب فهي إذاً: القرية الطيبة.

مغادرة خوجندة:

خرجنا إلى المطار مع شارع مزدوج أي ذي اتجاهين أحدهما للسيارات الذاهبة إلى خارج المدينة والآخر للآيبة.

وقد رأيت أنهم أقاموا تمثالاً لصقر قد مد جناحيه، وجعلوه على عمود، ولا أدري ما ذا يرمزون إليه من ذلك، ولكن مجرد وجود تمثال الصقر يثير انتباهنا نحن وأمثالنا من سكان الصحارى الذين يتخذون الصقر للصيد والقنص.

ورأيت محطات للحافلات جيدة لأنها مبنية كما يبنى رواق البناء، ولأنها محاطة بحائط من الخلف لكي يحمي من يقفون فيها وقد يطول وقوفهم من البرد.

ولاحظت أن اللافتات مكتوبة بالروسية وحدها كما رأيناها من قبل، ولكنني رأيتهم هنا يكتبونها بالحروف اللاتينية تحت الحروف الروسية المعروفة بالحروف السيريلية والسلافية، وربما كان ذلك بسبب كون المطار يأتي إليه أناس من الأوروبيين والسياح الذين لا يستطيعون قراءة الحروف الروسية.

وصلنا إلى مطار خوجندة، وكان معنا الأخوان (حاجي محكم بن كمال) والإمام محمد جان بن عثمان وهما اللذان استقبلانا في مركز الحدود بين أوزبكستان وتاجيكستان وقد خدمانا هنا خدمة ممتازة جزاهما الله خيراً.

وكانت قاعة المغادرة في المطار حارة إلى درجة اتعبتنا فليس فيها مراوح ولا مكيفات ولا أي شيء يقاوم الحر ولا شك في أن السبب في ذلك هو غلبة البرد على هذه البلاد، وقصر مدة الحر، وأمر مهم آخر وهو أنها كانت تحكم بحكومة شيوعية لم تكن تبالي براحة الناس، ولا كانت عندها الإمكانات اللازمة للتكييف ولو كانت عندها لما كانت تجد من دخول المواطنين ما يعيد تلك النفقات إليها، كأن يؤجر مقصفها على من يستثمره يتكسب بذلك، لأن المبدأ الشيوعي يمنع من المتاجرة والتكسب الذي اسموه استغلالاً إلا الحكومة نفسها.

وقد شربنا في هذه القاعة الشاي والماء البارد، ولم نجد في حمامات المطار ماءً إذْ كان الماء منقطعاً عنها، ومثلها في ذلك مثل حمامات الأدارة الدينية في خوجندة.

وأخبرونا ونحن سنسافر الآن إلى دوشنبه أن الجو فيها في هذا اليوم هو ماطر وأنها الآن ذات برد وبرق.

من خوجندة إلى دوشنبه:

في الساعة الرابعة والنصف عصراً توجهنا إلى الطائرة بصحبة الإخوين الكريمين المذكورين، وقد تركا من كان معهم في قاعة المطار.

وودعناهما جزاهما الله خيراً عند باب الخروج للطائرة، وهي طائرة روسية نفاثة صغيرة من طراز ياك، ذات الثلاثة محركات نفاثة وهذا الطراز كثير في بلدان الاتحاد السوفيتي، تعودوا عليه منذ زمن الاتحاد

السوفيتي، وذكروا أنه طراز آمن، لأن محركات الطائرة قوية بالنسبة إلى حجمها وحمولتها إذْ لا يزيد عدد الركاب فيها في العادة على ٣٨ راكباً.

ولاحظت تبدلاً في لغة الإعلان إذْ كان بالفارسية لغة تاجيكستان بعدها الإنكيزية وهذا تجديد جديد جيد.

وذكر مكبر الصوت من الطائرة أن مدة الطيران إلى (دوشنبه) هو ٤٥ دقيقة.

أقلعت الطائرة في الخامسة إلا سبع عشرة دقيقة، ولاحظت أنها مثل الطائرات الشيوعية ليس فيها جرائد ولا منشورات ولا خرائط، بل لم يكن في مقاعدها جيوب أصلاً كالتي تكون خلف مقاعد الركاب توضع فيها في العادة مجلة الشركة وما سمي ببطاقة السلامة وهي التي تتعلق بالطيران من تعليمات وتصرف.

وهذا عجيب وغريب، ولم أسمعهم ذكروا مثل ذلك من مكبر الطائرة بالإنكليزية، فاكتفوا عن التعليمات التي توضع في جيوب المقاعدة في العادة.

وتكرر التأذي بالحر الشديد داخل الطائرة قبل الإقلاع، وهذا شيء عرفناه من الطائرات الروسية الشيوعية، حيث لا تكون فيها صنابير لضخ الهواء البارد فيها، أو حتى للهواء الطبيعي.

ومرد هذا- كما قدمت- إلى عدم مبالاة الشيوعيين براحة الركاب لأنهم مضطرون إلى الركوب معهم، على كل حال، ولا يوجد بديل لطائراتهم، كما هو معروف.

وحتى مقاعد الطائرة فإنها قصيرة الظهور، قصروها من باب التوفير ولو كانت لا تريح الركاب، أما الضيافة الوحيدة في الطائرة فإنها كأس من ماء معدني مفعم بالغاز، ليس فيه إلا نصفه وهو أمر معتاد في مثل هذه الطائرات داخل الاتحاد السوفيتي السابق.

عندما استقر طيران الطائرة صارت متجهة جهة الجنوب الشرقي، حيث العاصمة، إلا أنها كانت تطير فوق منطقة ذات جبال مرتفعة فارتفعت عنها وصرنا لا نبصر ما تحتنا من الأرض بوضوح.

أما الجبال في هذه المنطقة فإننا لم نستغرب ذلك، لأن تاجيكستان تعتبر بلاد جبال حتى قال أهلها: إن بلادنا تعتبر بلاد الجبال، لآن ٩٧% من أرضها جبلي.

ومررنا فوق منطقة جانبية من جبال الهملايا المعروفة، بل المشهورة بارتفاعها، ورأينا الثلوج تتوج هامات تلك الجبال بتيجان بيض، بل ناصعة البياض من الثلوج، وفي بعض المواضع تجلل أكتافها أيضاً بما يشبه الأردية البيض غير الفضفاضة من الثلوج.

ورأيت مياهاً تتسلل متسلسلة منها نازلة مع الجبال، ومما يجدر ذكره هنا أن النهرين الكبيرين العظيمين في منطقة ما وراء النهر هذه وهما المعروفان عند أسلافنا العرب بنهري سيحون وجيحون وعند أهل المنطقة باسم (أموداريا) و(سرداريا) ينبعان، أو قل ينزلان من جبال الهملايا هذه، ولكن هذه الجبال واسعة وتركبها ثلوج هائلة الأحجام والمقادير لذلك تتحلب منها أنهار ونهيرات نازلة إلى الاماكن المنخفضة.

تجاوزت الطائرة هذه الجبال المدرة للماء من أعاليها إلى أرض جبلية أقل منها ارتفاعاً، ولم نسمع في الطائرة شرحاً لما نمر به ولا رأينا شيئاً مكتوباً عنه، فلم يكن أمامنا إلا تسجيل المشاهدات والتخمين في أصلها وفصلها.

وهذه الجبال الأقل ارتفاعاً هي معمورة بالزراعة ما عدا ظهورها، ورؤوسها العالية، وفي الأماكن المطمئنة والمنخفضة منها قرى مسكونة، ولكنها ريفية وليست كثيفة المساكن، ورايت نهراً صغيراً أو قناة واسعة لم أتبين أمرها من ارتفاع الطائرة.

ثم بدأت الطائرة التدني إلى الأرض، ولكنها لا تزال مرتفعة حتى صرنا نطير فوق العاصمة دوشنبه التي رأيناها ممتدة ذات ضواحٍ متباعدة، وفي وسطها (عمارات) أي أبنية متعددة الطبقات عالية.

يشقها نهر فيه عوائق بدت صغيرة من الطائرة، وهي تشبه السدود، وتبين لي بعد ذلك أنه نهر (ورزاب) التي معناها: الماء الحلو فورز: عذب وآب: ما بالفارسية.

وبدت ضواحي المدينة خضراء وسوف نراها من الأرض عندما نخترقها ونتكلم على ذلك فيما بعد، بإذن الله.

وبيوت الضواحي فيها من طابق واحد غير بهيجة الطلاء، ولا جيدة المظهر.

في مطار دوشنبه:

هبطت الطائرة في مطار (دوشنبه) عاصمة جمهورية تاجيكستان في الخامسة و٣٢ دقيقة وجدنا في استقبالنا عند سلم الطائرة في ساحة وقوف

الطائرات جمعاً من المستقبلين على رأسهم وزير الشئون الدينية في تاجيكستان (سعيد أحمدوف) ونايب مفتي البلاد حسن موسى زاده، والدكتور (غالب غائب) وهو شخصية متميزة بمعرفة العربية الفصيحة، والإطلاع على التاريخ العربي والثقافة العربية في البلاد، وقد نفعنا ذلك كثيراً، إذْ ظل مرافقاً لنا في أكثر الأماكن التي زرناها في تاجيكستان والدكتور غالب هو رئيس قسم في وزارة الشئون الدينية، ومن المستقبلين أيضاً مدير الشئون الدينية في العاصمة دوشنبه وضواحيها واثنان آخران.

ركبنا سيارة كبيرة معهم إلى قاعة كبار الزوار في المطار حيث كان الموظفون يحضرون الامتعة، مع أن الرحلة داخلية لا يحتاج تسلم الأمتعة إلى إجراءات مهمة.

ولكن هذه طبيعة النظام الشيوعي الذي يسيرون عليه حتى الآن ومن ذلك أنه لابد من إبراز الجواز عند الركوب في الطيران الداخلي مثل مجيئنا من خوجندة، حيث طلبوا الإطلاع على جواز السفر وضموا إليه التذكرة كما يفعل بمن يسافر على رحلة دولية- وكذلك طلبوا هنا حسبما أخبرنا الإخوة المستقبلون أن يطلعوا على جوازينا قبل أن يسلموهم امتعتنا.

مدينة دوشنبه:

هي عاصمة جمهورية تاجيكستان، ومعنى اسمها يوم الاثنين، أحد ايام الأسبوع هذه هي الترجمة الفقهية لهذا الاسم وأما الترجمة الحرفية فإنه بمعنى يوم الأحد الثاني، و ذلك أنهم في لغتهم الفارسية يسمون يوم الأحد

(إبك شنبه) الاحد الأول، و يسمون يوم الاثنين (دوشنبه) أي الأحد الثاني.

وسميت (يوم الاثنين) لأن مكانها كان فيه في القديم سوق ينعقد يوم الاثنين.

وغرب هذه البلاد التاجيكية اسمه في التاريخ العربي القديم بلاد الصغد بصاد قبل الغين، وبعضهم يكتبها السغد بسين قبل الغين.

وهذه مذكورة بل معروفة في القديم، ولكن مدلول الكلمة تغير الآن بمضي الزمن فقد ذكر الأقدمون أن بخارى وسمرقند هي من بلاد الصغد، بل ذكروا أن مدينة سمرقند هي قاعدة بلاد الصغد، وربما كان هذا من أسباب مطالبة تاجيكستان بهاتين المدينتين التاريخيتين، بخارى- مدينة الإمام البخاري وسمرقند مدينة الطائفة الكبيرة من العلماء الأعلام في ملة الإسلام وعرفت في العصور المتأخرة بأنها بلاد تيمور لنك لأنها عرفت بأنها عاصمة ملكه الواسع.

وهذا شيء مما ورد عن (الصغد) في كتب البلدانيات العربية وهو قطرة من بحر، لان هذه المنطقة كانت ميداناً مهماً للثقافة العربية لعدة قرون وإيراد كل ما وقفت عليه عن الصغد فيها لا يحتمله مثل هذا الكتاب، وربما يعتبره بعض القراء الكرام خارجاً عن المقصود.

مع ملاحظة أن اسم (الصغد) حيٌّ الآن فهو اسم إحدى المديريات الأربع في تاجيكستان، وهي مديرية الصغد كما سبق وعاصمة هذه المديرية هي مدينة (خوجنده).

أما معنى اسم هذا القطر تاجيكستان فقد بحثت عنه في الزيارة

السابقة وفي هذه الزيارة وبخاصة في هذه الليلة عندما جلسنا معهم على مأدبة العشاء الآتي ذكرها وكل الحاضرين فيها منهم يعرفون العربية ويتكلمون بها كما يتكلم بها أهلها وفيهم الدكتور العالم (غالب غايب) الذي له كتب مطبوعة في التاريخ وهو مهتم بتاريخ هذه البلاد القديم، وبخاصة إبان عهد انتشار الثقافة العربية فيها حيث كانت العربية لغة العلم والأدب والتاريخ مثلما أنها كانت لغة الدين والعلوم الدينية.

فقال الدكتور غالب والقوم هؤلاء يسمعون أصل (تاجيكستان) بلاد طيء، وهي كلمة طي حرفت إلى تاي وأعطيت النسبة ثم أضيفت إليه كلمة (ستان) التي تعني بالفارسية لغة هذه الجمهورية وطناً أو مكاناً ، فكان معناها إذاً (بلاد طيء) أو مكان طيء.

وهذا شيء استغربته ليس لكون هذه البلاد بعيدة عن قبيلة طيء وأهلها، فحسب ولكن لكون بلاد طيء مخصوصة حتى في الجزيرة العربية بلاد العرب فطيء منذ أن قدموا إلى نجد بعد خراب سد مأرب ونزلوا في الجبلين أو بين الجبلين سلمى وأجا لم تتمدد بلادهم إلى الشمال مثلاً.

وقال الإخوة أهل تاجيكستان: إن سبب ذلك أن أقواماً من قبيلة طيء كانت جاءت في زمن الفتوحات إلى هذه المنطقة واستقرت بها حتى عرفت بهم.

وهذا لا يوجد ما يمنع منه عقلاً، ولكنه يحتاج إلى نص قديم يؤيده.

على أنهم يدللون على ذلك بأنهم لم يعلموا يقيناً معنى آخر للفظ

تاجيك، إلاَّ أقوالاً ذكرتها في المقدمة، إلا أنه يدل على أقوام صار يقال لهم التاجيك في العصور المتأخرة ولم يقفوا- كما ذكروا- على أصل أولئك الأقوام، وكيف تسموا بهذا الاسم.

أخبروني أنه توجد الآن قرى أو قالوا منطقة صغيرة تعرف بأن أهلها من أنسال العرب، غير أن لغتهم العربية اضمحلت وصاروا الآن كما قيل لي وإن لم أتحقق منه- يتكلمون لغة- منحدرة من اللغة (الفهلوية) وهي الفارسية القديمة التي كانت موجودة في العراق وإيران قبيل الفتح العربي وبعده بقليل.

و(التاجيك) على وجه العموم هم من مظاهرهم أقرب إلى الجنس العربي من جيرانهم من سكان المنطقة كلها كالأوزبك والقازاق من الذين لهم أصول تركية مختلطة في القديم بأصول مغولية، فتقاسيم الوجوه في التاجيك أقرب إلى التقاسيم في وجوه العرب.

سرنا مع الإخوة الكرام الذين استقبلونا في المطار وعلى رأسهم وزير الشئون الدينية الذي ركبت معه في السيارة وبقية الرفقة في سيارة أخرى.

ويقع المطار غير بعيد من المدينة وطرقها مع ضواحيها مشجرة بأشجار عالية ضخمة ربما يقل نظيرها في ضخامتها، وغلظ سوقها في كثير من مدن آسيا الوسطى التي كان أسلافنا العرب يسمونها (بلاد ما وراء النهر) ويسمون تاجيكستان هذه أو أكثرها باسم بلاد (الصغد) وهو الأسم الذي أطلقه المتأخرون من أهل هذه البلاد على ناحية من بلادهم كما سبق ذكر ذلك عند الكلام على أحوال تاجيكستان في المقدمة.

والذي يسترعي الانتباه فيها أكثر هو استقامة سوقها- جمع ساق- وغلظها.

ورأيت الشارع الذي كنا نسير معه وهو شارع واسع قد أصبح في ظل من أشجار مغروسة على جانبيه من هذه الأشجار الكبيرة.

ثم وصلنا إلى وسط المدينة الذي فيه الأبنية العالية، ولكنها قديمة، وليست كالعمارات الشيوعية الحديثة التي لا طابع لها، ولا نراعي فيها أية ناحية فنية، بل بنيت لسد حاجات السكان إلى المساكن لآن الحكومة الشيوعية لا تسمح للناس بأن يبنوا في المدن مساكن لهم خاصة بهم.

ثم أنزلونا في فندق كبير داخل المدينة وهومن الفنادق التي أسميتها الفنادق الشيوعية، لكونها على طراز واحد، ومتساوية في سؤ حالتها.

وهذا الفندق هو واحد منها إلا أنه محسن، معتنى به لأنه هو الفندق الأساسي في المدينة وهو حكومي كما أخبرونا به.

وكنت سميت مثله بالفنادق الشيوعية، لأن المسئولين في الاتحاد السوفيتي بنوا في كل مدينة فندقاً رئيسياً فكانت متماثلة لأنها لحاجات الحكومة وربما كان الذي خططها مهندس واحد أو جهة هندسية واحدة.

أنزلني القوم في جناح كامل من هذا الفندق.

بعد أن أطمأن الإخوة على نزولنا في الفندق واعدونا على مأدبة عشاء يقيمونها في الثامنة من هذه الليلة، وقد اطمأننا نحن على ما معنا وفيه عشرات الآلاف من الدولارات على هيئة صكات (شيكات) سياحية، وذلك من أجل أن هذه البلاد بلاد مسلمة آمنة وحتى البلدان الشيوعية كان الامن الشخصي مستتباً فيها للجميع، وقد تعودنا الأمان والإطمئنان على

أنفسنا وعلى ما نملكه من أموالنا في هذه الفنادق الشيوعية، سواء أكان ذلك في الصين أو روسيا وحتى أقطار الاتحاد السوفيتي السابق.

عشاء دوشنبه:

حضر وزير الشئون الدينية ونائب المفتي والعالم بالعربية وآدابها الدكتور (غالب غايب) ومعهم آثنان آخران فصحبونا إلى المائدة التي وجدنا عليها مقدمات الطعام التي تكون قبل الوجبة الرئيسية في البلدان الشيوعية إلا فيما يتعلق بالبطارخ المسمى بالكافيار وهو بيض سمك مخصوص يعيش في بحر الخزر الذي يعرف الآن ببحر قزوين فليس موجوداً لأنه قد انقطعت الصلة الآن بينهم و بين ذلك البحر، بعد استقلال الجمهوريات التي كانت تابعة لروسيا عنه، وانفراط عقد الاتحاد السوفيتي.

وقد زادوا على ذلك بأن وضعوا على المائدة ما لم يكن متوفراً في بلاد روسيا الأصيلة وهو أنواع الفواكه، إذْ وجدناهم وضعوا على المائدة جبناً وقطعاً من اللحم المملح وسلطة وفاكهة مما تسمى في المغرب بحب الملوك وتعرف عندنا بالكرز، وكنا نسميها قبل ذلك الكريز- بصيغة التصغير- وقد جاءوا بحب الملوك هذا ذا لونين أحدهما أصفر وهو غير شائع، والثاني هو الأسود، أو البني وهو الشائع الذي نستورده الآن، وكذلك وضعوا مشمشاً جيداً من إنتاج المنطقة.

أما الشراب فإنه المعتاد وهو الماء المفعم بالغاز إلى جانب المشروبات الغازية المعروفة كالكوكاكولا، ثم السلطة.

وقد بدا القوم الأكل بقطع صغيرة من الخبز الذي يأكلونه مع بعض هذه

المقبلات، ما عدا الفاكهة فإنهم يفعلون ما يفعله سائر أهل بلاد ما وراء النهر، بأن يحضروا الفاكهة على مائدة الطعام ويظلوا يأكلون منها شيئاً فشيئاً مع الطعام وحتى بعد الانتهاء منه، ولكن ذلك كله يكون في العادة بمقدار، لأن الفاكهة تكون منوعة والأكلة قد شبعوا يريدون أن يشبعوا من غيرها.

ثم أحضروا اللحم وهو كثير لذيذ الطعم لأنه من لحوم أغنام ترعى الأعشاب البرية، وجاءوا أيضاً بخضرات مطبوخة متنوعة.

واللحم الرئيسي هو صليق (مسلوق) ولكنهم أحضروا بعد ذلك لحماً مشوياً، ثم جاءوا بلحم طير ربما كان أوزاً أو بطاً فليس بالدجاج، ثم كباب أو ما يسمى بالتركية (شيش كباب) وهو الذي ينظم في قضبان من الحديد، ويشوى ثم يقدم للآكلين وهو كذلك.

وبعد ذلك الشاي والقهوة.

كانت المائدة شهية ولكن الكلام عليها كان أشهى وأنفع لأنه عن أمور مهمة من أمور هذه البلاد المسلمة.

ومما يجدر ذكره أن أهل تاجيكستان هذه يعتقدون أنهم أبناء عم للفرس الموجودين الآن في إيران، ولغتهم هي لغتهم من دون اختلاف، ولكنهم يخالفونهم في المذهب، فأهل تاجيكستان كلهم من أهل السنة والجماعة على حين أن غالب الفرس الذين في إيران هم من الشيعة- كما هو معروف.

وعندما انتهت مادبة العشاء في نحو الحادية عشرة فتحت نافذة الجناح الذي اسكن فيه فإذا بها تفتح على حديقة غناء ظليلة في هذا الليل مما جعلني أومل أن تكون الغرفة جيدة الموقع وإن كنت أعلم كما يعلم

غيري من الإخوة المرافقين وغيرهم أنني لا أ جلس في الغرفة مستقراً إلا في الليل، لأننا في النهار في تجوال نجول من مكان إلى آخر.

وقد سرني في هذا الجناح أن رأيت في خزائن فيه من الخشب والزجاج أدوات صنع الشاي وتقديمه من الخزف الملون الجميل الذي يتميز بصنعه في هذه البلاد العريقة: بلاد ما وراء النهر وهو مختلف الألوان ما بين أحمر وأخضر ومنظره جميل ومنسق فيه بين مفرداته كالأباريق والأكواب التي يشرب بها الشاي وهم يشربونه بأكواب صغيرة من هذا الخزف تشبه السلطانيات، ولا يشربونه بكأسات الزجاج المستطيلة كما نصنع نحن، وفيه جهاز للتلفزة مربوط بطبق لاقط، ولكنني لم أجد فيه قناة عربية، وإنما فيه تلفازات المنطقة مثل تلفاز أوزباكستان والتلفازات الروسية.

أنسيت أن أقول: إن من بين الحاضرين في مأدبة العشاء الشيخ (حسين بن موسى زاده) وزاده بالفارسية معناها ابن، وهو نائب مفتي تاجيكستان وأحد الذين استقبلونا في المطار وهو يتكلم العربية بطلاقة، وقال لنا معتذراً إنني كنت عند قدومكم اليوم إلى خوجندة في العاصمة (دوشنبه) ولم أعلم بموعد قدومكم، وإلاَّ لذهبت إلى هناك لأكون في استقبالكم وبخاصة في الإدارة الدينية، لأنني أنا مفتي خوجنده، وقال: وشيء مهم آخر وهو أنه لنا درس يومي في جامع مصلح الدين في (خوجنده) ولكنكم صادفتم وجود جنازة توقف الدرس من أجلها، لأن بعض الذين يدرسون أو يستمعون إلى الدرس ذهبوا مع الجنازة إلى المقبرة.

وقال: يوجد في داخل (خوجنده) ٢٦ مسجداً و٦ جوامع وهي المساجد الكبيرة التي تقام فيها الجمعة.

يوم الأربعاء: ١٤٢٢/٣/١٤هـ ٧ يونيو ٢٠٠١م:

الاجتماع بنائب رئيس مجلس الوزراء:

اتصل بنا الشيخ نور جان أكبر توران زاده نائب رئيس الوزراء في جمهورية تاجيكستان وهو صديق قديم كان استضافنا في زيارتي الأولى لتاجيكستان في عام ١٤١٠هـ.

ثم خرج على الحكومة التي كانت تحكم البلاد بعد الاستقلال لان معظمها كان من عهد الشيوعية ومثله طائفة كبيرة من الشخصيات المسلمة ونشبت حرب أهلية فسعت بعض الدول ومنها إيران وروسيا للصلح بين الطرفين، وتم ذلك وتم بموجبه تعيين صديقنا الشيخ نور جان أكبر زاده نائباً لرئيس مجلس الوزراء، وما زال يشغل هذا المنصب حتى الآن.

وكان زارني في مكتبي في مكة المكرمة أكثر من مرة إبان الحرب الأهلية التاجيكية وكان يتنقل آنذاك ولا يستطيع أن يدخل بلاده كما هو ظاهر.

وقد كرم الشيخ توران فزارنا اليوم في الساعة التاسعة صباحاً في فندقنا في (دوشنبه) وكنا نعتزم أن نزوره في مكتبه.

وقد جاء الحديث عن الزيارة السابقة لنا إلى دوشنبه وعن زيارته لنا في بلادنا، وكذلك الأوضاع العامة في تاجيكستان وبخاصة أوضاع الدعوة الإسلامية وهو يتكلم في هذا الأمر كلام الخبير، إذْ كان عاملاً في الشئون الإسلامية منذ عشرين سنة، وما زال نشطاً قوياً في الخير أثابه الله.

ودعانا إلى طعام الغداء في بيته خارج العاصمة بمسافة فوعدناه بذلك.

ثم ودعناه إلى لقاء قريب، لأن لديه الآن موعداً مع رئيس الحكومة، أخبرنا به.

ووزير الشئون الدينية:

وفي الواحدة والنصف زارنا في الفندق الأخ وزير الشئون الدينية في تاجيكستان وبصحبته الشيخ حسين بن موسى زاده نائب مفتي البلاد، وقد بحثنا معهم بعض الأمور المتعلقة بالأوضاع الإسلامية الحاضرة، واستكمالاً لما سبق أن بحثناه معهم البارحة.

جامعة الإمام الترمذي:

ذهبنا مع الوزير ونائب المفتي إلى (الجامعة الإسلامية) التي أنشئت حديثاً في طاجيكستان وتقع بالقرب من المسجد الجامع غير بعيدة منه.

واللافت للنظر أن معظم طلابها كبار وليس المراد أنهم كهول ولكنهم شبان مكتملون رأينا منهم ذلك أول الأمر.

وتتبع الجامعة مدرسة ثانوية، وتقع في طابقين واسعين تجولنا على فصول الدراسة فيها فألفيناها جيدة.

ودار الافتاء واقعة قريباً من الجامعة ومبناها ملاصق للمسجد الجامع الكبير، وقد طلبا منا زيارة (دار الإفتاء) ريثما يهيئون طلبة الجامعة للجلوس في قاعة الاجتماعات.

وكانت هذه فرسة لزيارة دار الإفتاء واللقاء بالمفتي العام لتاجيكستان، ومقر الدار ممتاز المبنى، بل هو فاخر المبنى، فيه نقوش

جصية فنية، وزخارف من الفنون الوطنية الخالية من الصور والمبنى مفروش كله بفراش مناسب، وإن لم يكن غالي الثمن.

قالبنا المفتي الشيخ أمان الله نعمت زاده وهو مسن، وذو مظهر تقليدي عريق عليه الوقار والسكينة التي تميز المشايخ القدماء من العلماء العاملين.

طلب لنا الشيخ شراباً بارداً من عصير الفاكهة.

وأكثر من كلمات ترحيب رقيقة فرددت عليه بالشكر وسرورنا بالمقابلة، وبينت له صادقاً أننا عندما وصلنا إلى تاجيكستان واجتمعنا بالإخوة الذين منهم نائبكم الشيخ حسين بن موسى زاده شعرنا بالارتياح كما يشعر بذلك من وصل إلى بلده.

ثم قدم إلينا المفتي هدية مهمة لنا وهي مزهرية من النحاس الصقيل المزخرف بزخارف من الفن المحلي، وقد تقبلتها شاكراً وإن كنت أعرف أنه مع سروري بها فإنه يشق عليَّ حملها من مدينة إلى أخرى لانها كبيرة تضيق بها الحقيبة.

احتفال الجامعة الإسلامية:

ذهنبا مع المفتي وعدد من الإخوة المشايخ الكرام إلى قاعة اجتماع واسعة في الجامعة لم أكن أتصور أنهم يستطيعون الحصول عليها فوجدنا الطلاب والمدرسين وربما كان معهم مشايخ وعلماء آخرون قد احتشدوا في هذه القاعة.

وقد عرفت أن السبب فيما أظن في ذلك منحة قدمها لهم البنك الإسلامي للتنمية الذي مقره جدة فبنى لهم مبنى الجامعة هذه وكانت كلية آنذاك.

عندما أطمأن المجلس بالجميع وكان الصف الاول يكاد يكون كله من المشايخ والمدرسين وخلفه الطلاب الذين عليهم سيماء طلبة العلم وهم كثير أيضاً نهض وزير الشئون الدينية الأستاذ سعيد أحمدوف فقدمني للحاضرين، فعرف الحاضرين بي وأثنى بشيء من الثناء وتكلم عن شيء من أحوال هذه الجامعة.

ثم تقدم بعده رئيس الجامعة الشيخ عبدالجلال علي زاده، ومعنى زاده: ابن بالفارسية، فهو إذاً ابن علي فألقى كلمة مكتوبة بالعربية، وحسناً فعل لأننا أخذناها وأستطعت إثباتها في هذا الكتاب، ولو كان تكلم بالفارسية لاحتجنا إلى ترجمة عاجلة إلى العربية، ثم احتجنا إلى نقل ذلك كتابة.

وقد تضمنت كلمته الترحيب بالضيوف والتعريف بالجامعة.

وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

يسرنا في جامعة الإمام الترمذي الإسلامية رئيساً وأساتذة وإداريين أن نرحب بالضيوف الكرام الأستاذ الدكتور محمد بن ناصر العبودي الأمين المساعد والنائب الأول لرابطة العالم الإسلامي والسيد الأستاذ السكرتير العام للرابطة معبرين عن عظيم سعادتنا وعميق غبطتنا لهذه الزيارة الكريمة التي تفضلتم بها متمنين لكم وقتاً طيباً وإقامة سعيدة في طاجيكستان سائلين الله عز وجل أن ينعم عليكم نعمة الصحة والعافية ويرعاكم ويسدد خطاكم على طريق الخير والحق وأن يجعلكم قوامين

ساهرين على خدمة الإسلام والمسلمين في كل مكان.

كما يسرنا أن نقدم لكم معلومات في سطور عن الجامعة:

أولاً: نشأت الجامعة عام ١٩٩٠م، على يد أهل الخير الغيورين على الإسلام من العلماء ورجال الدين الأفاضل وممن وفقهم الله لمد يد المساعدة وعمل الخير، وكانت في بدايتها معهداً صغيراً ثم أقبل الطلاب إليها من جميع أنحاء الجمهورية وتزايد العدد حتى بلغ ألف طالب في عام ١٩٩٧م، الأمر الذي اقتضى تطوير المعهد إلى جامعة إسلامية، وذلك بتأييد ومساعدة معالي وزير الشئون الدينية لحكومة طاجيكستان السيد الدكتور سعيد أحمدوف وأصبح تكوين الجامعة من الأقسام الآتية:

١- المرحلة التمهيدية ومدة الدراسة فيها سنتان.

٢- المرحلة الجامعية ومدة الدراسة فيها خمس سنوات.

وتنقسم الجامعة إلى كليتين:

١- كلية الشريعة الإسلامية.

٢- كلية أصول الدين.

علاوة على ذلك يوجد بالجامعة معهد لتحفيظ القرآن الكريم ومدة الدراسة فيه ثلاث سنوات، كما توجد مدرسة ثانوية للبنات وقسم خاص بالتعليم الجامعي للبنات.

ثانياً: عدد طلاب الجامعة الآن أكثر من ١٥٠٠ طالب وطالبة ويدرسون المواد الآتية:

القراءة والتجويد والتفسير وعلم الحديث والفقه والنحو والصرف وتاريخ الأديان وتاريخ الإسلام والسيرة النبوية والعقائد والفرائض واللغات العربية والإنجليزية والفارسية وتاريخ الخط والجغرافيا العربية، وعلم البلاغة والبيان والفلسفة وعلم المنطق ونظرية الاقتصاد.

ثالثاً: عدد المدرسين يزيد على ١٢٠ مدرساً ومدرسة بجميع التخصصات، كما يوجد بينهم مدرسين اثنين من الازهر الشريف إضافة إلى الأساتذة من الجامعات الطاجيكستانية الدولية.

رابعاً: هؤلاء الأساتذة يقومون بالتدريس ويؤدون واجباتهم لقاء أجر قليل لا يكفي لضرورة الحياة الآن إذْ أن إمكانيات الجامعة لا تسمح بأكثر من ذلك فهم يؤدون هذا العمل حباً للإسلام وغيرة عليه.

خامساً: تحتاج الجامعة إلى أجهزة حديثة وأدوات تعليمية مثل الكمبيوتر والفاكس والآلات الكتابية ومطبعة للطبع وتزويد الطلاب بالكتب اللازمة، كما أن عدم إمكانيات الجامعة حالت بين إرسال المدرسين إلى بعض الدول الإسلامية منها العربية لتلقي الدورات التدريبية حتى تزداد خبرتهم.

كما أن الطلاب يحتاجون إلى ما يصلح سكنهم حتى يكون لائقاً بهم مما يمكنهم من الإقامة فيه وتحصيل العلم وأن الجامعة جادة في البحث والعمل اللازم للاتصال بأهل الخير الذين بإمكانهم تقديم المساعدة في مجال تحسين ظروف الدراسة في الجامعة والله ولي التوفيق.

الشيخ عبدالجلال علي زاده

رئيس جامعة الإمام الترمذي الإسلامية في طاجيكستان

كلمتي في الاحتفال:

طلبوا مني أن ألقي كلمة ذكروا أنها ينبغي أن تتضمن توجيهاً للطلاب ونصيحة لإخوانكم الموظفين والمدرسين.

وقد ألقيت كلمة مطولة لأن المقام يقتضي التطويل، وذلك أنها أمام جمع حاشد من المشايخ وطلبة العلم الذين لم يسبق لي أن قابلتهم، والتحدث إليهم بناء على طلبهم- ذلك- فيه عندي ليس من أ جل الحديث فقط وإنما من أجل تذكيرهم بما كان عليه علماؤهم الأوائل، وما ينبغي لهم أن يتحلوا به من العلم، وما يقومون به من العمل.

وذكرت في كلمتي أن زيارة بلادهم والاجتماع بالإخوة فيها من العلماء الذين على رأسهم صاحب السماحة المفتي ونائبه والطلاب والمواطنين هي أمنية من الأماني، لأن بلادكم بلاد عزيزة عانت من الاستعمار الروسي القيصري ثم من الطغيان الالحادي مع أنها بلاد كانت من مراكز الإسلام المعروفة، في كتبنا العربية القديمة، ففي غربها بلاد الصغد التي أخرجت علماء أعلاماً يكفي أن نعرف أن بعض العلماء ذكر أن كلمة السغد كانت تعني بلاداً مركزها بين بخارى وسمرقند، وهما المدينتان اللتان أخرجتا من العلماء والشعراء البلغاء فضلاً عن المحدثين والفقهاء والزهاد الأتقياء، ما لا يكاد يحصيه عد، وكتبنا العربية مشحونة بأخبارهم، مليئة بذكر أحوالهم، بحيث يستطيع الواحد منا أن يقول جازماً- إنه ما من طالب علم لديه مكتبة علمية ليس بين كتبه ما الفه علم من الأعلام من علماء بلادكم أو أكثر من عالم.

ومن العجائب أن بلادكم عندما كثر علماؤها وبخاصة محدثيها كالإمام البخاري والإمام الترمذي والحافظ الدارمي صاحب المسند الصحيح صارت مقصداً للعلماء ورواة الحديث بالأسانيد العوالي، فصار الناس يرحلون إليها من البلدان العربية وغيرها، حتى إن منهم بعض المغاربة الذين يأتون إلى الشرق العربي لطلب العلم، ورواية الحديث، وللحج إلى بيت الله الحرام ثم ينتهزون الفرصة ويحملهم الشوق إلى لقاء العلماء الأعلام في بلادكم فيسافرون إليها على صعوبة السفر في تلك الأزمان، وما يكتنفه من مخاطر وعدم أمن، وما يعانيه بعض طلبة العلم من قصور في النفقة، وإن كان يقلل من ذلك أويسهله وجود المبرات- جمع مبرة- التي تعتني بطلبة العلم الغرباء فتكفل لهم الطعام وتيسر ما يحتاجون إليه أو بعض ما يحتاجون إليه، وهي كانت منتشرة في بلاد العالم الإسلامي ومنها بلادكم التي يشملها مصطلح ما و راء النهر الذي يراد به نهر جيحون الذي يسمى الآن: (أمودارياً).

ولاشك في أنه سيطرأ على أذهان أو ذهن أحد منكم السؤال التالي: إذا كانت حال بلادنا هكذا في القديم، ألا يجوز، بل ينبغي، بل يجب أن تعود لها تلك الحال، أو ما يقرب منها مما تقتضيه طبيعة الزمان، وظروف المعيشة؟

والجواب: إن المقصود هو الجوهر وليس المظهر أو التقليد التام للماضي فإن ذلك ممكن وينبغي أن يسعى إليه طلبة العلم.

وقد تغيرت الأحوال فصار طلب العلم الآن في الكليات والجامعات مثل جامعتكم هذه المسماة (جامعة الإمام الترمذي) فصار من الممكن وربما وينبغي أن يأتي الطلاب إلى بلادكم للالتحاق بها كما كان الأقدمون يأتون

لبلادكم لسماع الحديث والتفقه في الدين على الإمام الترمذي رحمه الله.

ويصح أن يقال مثل ذلك عن بخارى وغيرها من بلاد الصغد القديمة.

ولا نستبعد يوماً يوجد فيه إمام من أئمة الحديث الدارسين في جامعة الترمذي هذه يكون محدثاً كالإمام الترمذي، وما ذلك على الله بعزيز.

ثم تكلمت على فضل العلم وطلبه، وقلت لهم: إن الأحاديث والآثار القديمة كثيرة في الحث على طلب العلم وفضله، بل وفضل السعي إليه كما في الحديث (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهلا الله له به طريقاً إلى الجنة).

والإخوة العلماء يعرفون هذه الأحاديث ولكنكم أيها الطلبة تحتاجون إلى التذكير بقيمة الوقت ولذا ينبغي استغلاله فيما ينفع الإنسان، لأنه ذاهب، وإذا لم يستعمل في الخير قد يستعمل في غيره، حتى إذا ذهب سبهللاً وبدون منفعة دينية أو دنيوية فإنه خسارة كبيرة.

ويجب عليكم أن تعلموا أبناء المسلمين سواء إذا تخرجتم في هذه الجامعة أو قبل ذلك وحتى العلماء عليهم مثل هذا الواجب وهو أن يعلموا أولاد المسلمين تاريخ بلادكم الإسلامي، وتاريخ علمائكم العظام، لأن الشيوعيين كانوا يدرسونكم تاريخ كبار الشيوعية والداعين إليها والمطبقين لها من دون أن يدرسوكم التاريخ المجيد لهذه البلاد، وما أخرجته من العلماء الأماجد على مر العصور.

وإذا قال أحد من المتشككين أو المفتونين بالشيوعية وأمثالهم إنكم رجعيون، فولوا لهم لنرجع نحن وإياكم معاً إلى تاريخ بلادنا الثقافي العظيم ولترجعوا أنتم إلى تاريخ الشيوعيين في الوقت القديم قبل الشيوعية وسوف

ترون أن بلادكم، بلاد ما وراء النهر كانت قبل ألف عام مثالاً للثقافة المزدهرة، وبلاد أولئك بلاد همج وأمية وتيه.

فلابد لكم- أيها الإخوة- من الاجتهاد في طلب العلم ولاسيما العلم الشرعي الذي هو الدواء الشافي من الجهل وهو الدواء الشافي للقلوب من الملل والحياة المادية وأمراضها، فهو يجلب السكينة والطمأنينة والرضا للنفس المؤمنة، ويجعل الحياة ذات معنى إذا تصور المسلم أن خالقه سبحانه وتعالى معه يهديه ويرشده ويبصره ويدافع عنه.

بل إننا نقول: إن العالم بحاجة إليكم أيها العلماء وأنتم يا طلبة العلم الشرعي الذين ستصبحون علماء بإذن الله لكي ترشدوا سكان العالم إلى طريق الطمأنينة والرضا، طريق الفلاح والنجاح في الدنيا وفي الحياة الأخرى.

هذا وقد ترجم كلمتي إلى الفارسية الشيخ حسين موسى زاده نائب المفتي لهذه البلاد.

الجامع الكبير:

انتقلنا من قاعة المحاضرات في (جامعة الإمام الترمذي) الواقعة بقرب المسجد الجامع، بل إن مبناها ملاصق له إلى الجامع فوجدته جامعاً فخماً أنيق المنظر، جميلاً بل أخاذاً في زخرفته وبنائه الفني، وكنت رايته في المرة الماضية وكانوا يصلحونه بعد أن كان أهمل في زمن الشيوعية.

وقد أخبروني أن جميع ما فيه من اللمسات الفنية فضلاً عن التصميم الأساسي والزخرفة هو من عمل مهندس من أهل بلادهم ولا يتصور المرء أن مثلهم في كونهم خرجوا من نظام شيوعي يفقر الغني ولا يغني

الفقير يستطيعون أن يبنوا هذا الجامع ويزخرفوه ويجعلوه كالتحفة الفنية الرائعة إلى كونه واسع المساحة فسيح الأركان.

وللمسجد ملحقات منها طابق أسفله، وبقية الملحقات لم أستطع أن أعرفها لأن الوزير والمفتي كانا معنا في الجولة ومعنا مصور التلفاز الحكومي.

وقد نوهوا بأن جميع نفقات هذا الجامع، وبهذا الشكل العجيب الجميل هي من التبرعات، فالحكومة لم تنفق عليه شيئاً.

المؤلف في محراب المسجد الجامع في مدينة (دوشنبه) عاصمة جمهورية تاجيكستان، على يمينه وزير الشئون الدينية في تاجيكستان

محلة الملك منصور:

بعد هذه الجولة المهمة التي شملت (جامعة الإمام الترمذي) والجامع الكبير في دوشنبه، كان لابد لنا من زيارة بعض المساجد لأننا نحمل شيئاً من النقود التي هي مساعدة مالية عاجلة لما نراه محتاجاً لها من المساجد، ولذلك ذهبنا إلى محلة اسمها (محلة شاه منصور) وشاه: معناه: الملك.

وقد رغب إلينا الوزير والمفتي في زيارة مسجد في هذه المحلة كان قد احترق وعجز أهله عن إصلاحه بسبب عجزهم عن تدبير الإنفاق عليه.

وجميع سكان محلة شاه منصور من المسلمين، وقد ذكر لنا الإخوة أن الروس وأمثالهم من غير المسلمين من رعايا الاتحاد السوفيتي كالروس البيض والأوكرانيين تكون لهم في العادة محلات خاصة بهم إلا في الضواحي أو العمارات السكنية الشعبية المشتركة.

وصلنا إلى حي أو محلة (شاه منصور) فوجدناه حياً شعبياً أفضل من الأحياء المشابهة له في مدينة طشقند التي كنا فيها قبل يومين إلا فيما يتعلق بالزفت والشوارع والأرصفة فهذه أردأ من الرداءة في ذلك وأمثاله وهي طابع الشوارع في المدن الشيوعية بمعنى التي كان يحكمها شيوعيون حتى في روسيا الشوارع في مدنها رديئة إلى درجة لا يتصورها إلا من رآها وقد ذكرت ذلك في عدة كتب لي مطبوعة ومنها (إقليم أورنبورج) و(إقليما سمارا واستراخان).

أما السكان فإنهم أقرب في المظاهر إلينا نحن العرب من الأوزبك فهؤلاء

أي الأوزبك هم الذين نسميهم في بلادنا بالبخاريين ولهم مظاهرهم الخاصة، وأما هؤلاء فإنهم يشبهون الإيرانيين الذين لا يبعدون كثيراً عن العرب.

وشيء مهم لنا آخر وهو أنهم لم يغيروا الحروف العربية من لغتهم كما فعل الأوزبك وأمثالهم وربما صح القول بأن الروس أنفسهم لم يغيروا حروف التاجيك العربية إلى اللاتينية، أولاً ثم إلى الحروف السلافية التي تكتب بها اللغة الروسية ثانياً، لأن الروس هم الذين غيروا حروف اللغات المنبثقة من التركية القديمة غيروها من الحروف العربية إلى الحروف السلافية.

وقد رجع بعض أهل تلك الجمهوريات بعد استقلالها إلى الحروف اللاتينية بديلة من العربية فكأنهم لم يغيروا شيئاً مما كان في كتابة لغتهم إبان الشيوعية إلا الحروف الروسية استبدلوا بها الحروف اللاتينية.

وقد ذكرنا فعل هؤلاء الإخوة من أهل تاجيكستان بما فعله الأخوة أهل تركستان الشرقية التي تحكمها الصين في الوقت الحاضر وتسميها شنجاك، وتعرف عالمياً باسم (سينكيانغ) وهم يتكلمون لغة مشتقة من التركية القديمة اسمها الأيغورية- نسبة إلى قبيلة الايغور- أكبر القبائل في البلاد، فهم أبقوا الكتابة بلغتهم على ما كان عليه أهلوهم وآباؤهم بالحروف العربية التي يؤنس منظرها نظر المسلم العربي الغيور الذي يراها لا تزال تكتب في ذلك الركن القصي من العالم الإسلامي، وإن لم يعرف معانيها إلا ما كان منها أصله عربياً وهو في لغتهم كثير، وقد ذكرت ذلك مفصلاً في كتاب (مهد الترك).

ونعود إلى ذكر مظاهر الأناسي هنا فنقول: إننا لاحظنا أن الجميلات من النساء عندهم هن أجمل عندنا من الجميلات عند أهل أوزبكستان،

وربما كان ذلك لتقارب المظاهر ما بيننا وبين أهل تاجيكستان.

ويسترعي الانتباه كثرة الكلمات أو الجمل العربية في لغتهم ويقولون: إن لغتهم أقرب إلى الفهلوية التي هي لغة الفرس إبان الفتوحات الإسلامية من الفارسية الحالية الآن في إيران، ولكنها ليست بالفهلوية، لآن هذه صار كثير من الناس لا يعرفونها لبعد العهد، ووود كلمات وألفاظ وتعبيرات كثيرة أدخلت في الفارسية، حتى صار بعض الباحثين يذكر أن الفهلوية لغة غير الفارسية الحديثة.

دخلنا مسجد شاه منصور الذي اسمه (مسجد ابي بكر الصديق دوشنبه) رأينا ذلك مكتوباً عليه بالحروف العربية.

ويقع في جنوبي مدينة (دوشنبه).

وصلينا الظهر فيه خلف إمامه، وقد رأيته لبس العمامة والجبة عندما أراد أن يتقدم للصلاة بنا، ولم تكونا عليه من قبل.

وكنا بحاجة للوضوء فتوضأت من أنبوبة في وسط فنائه المكشوف باردة بل شديدة برد الماء، قالوا: السبب في ذلك أنها جاءت مباشرة من النهر والنهر من الثلوج التي تتحلب منها المياه في هذه الجبال المتصلة بجبال الهملايا.

وكانت صلاة الإمام سريعة كما هو المشهور عن الحنفية بأنهم لا يشترطون الطمأنينة في الصلاة.

وبعد الصلاة بدأوا تسبيحاً وتهليلاً خفيفاً ثم رفع الإمام يديه بالدعاء ورفعوا أيديهم بالدعاء كذلك، ولا يدري أحد منهم ما يقوله الآخرون لأن

ذلك كله كان سراً، ثم قرأ أحدهم آيات من القرآن الكريم، تلاها وعاد، ثم ختموا مراسم الصلاة عندهم، و قد تفقدنا هذا المسجد وقررنا شيئاً من المساعدة على إتمام ترميم مرافقه.

ثم زرنا مسجداً آخر في هذا الحي: حي شاه منصور ولم نجده يحتاج إلى مساعدة.

مطعم زجاج الملك:

دعانا وزير الشئون الدينية الأستاذ سعيد أحمدوف إلى مأدبة غداء في مطعم اسمه (جام جمشيد) بمعنى زجاج جمشيد، وجمشيد: ملك من ملوك الفرس القدماء.

كان أول المائدة الحساء الذي اسميته (الشربة) التركستانية، لأنها موجودة في كل أراضي تركستان الشرقية والغربية، وما كان عنها شمالاً حتى سيبيريا، وذلك أنها دسمة يضعون فيها قطعاً صغيرة من لحم الضأن الدسم، وذلك لكي يكافح البرد الشديد في بلادهم، وهذا هو الأصل في اعتقادهم عليها وبعدها جاءوا بما اسموه (شاش بره)، وهو على هيئة كرات من العجين الأبيض المنضج بالبخار لئلا يتغير لونه الأبيض ووسط هذه الكرات لحم من لحم الغنم ثم فطائر باللحم وكلاوي- جمع كلية- وقد أكثروا من اللحم في الغداء كما كانوا أكثروه في العشاء البارحة.

ولحم الغنم عندهم لذيذ لأنها تعيش على أعشاب خالصة في مراعٍ برية جيدة.

وبعد ذلك جاءوا بالمثلجات (الآيسكريم)، واما الفاكهة فكانوا وضعوها على المائدة قبل أن نجلس عليها، ورأيتهم يأكلون منها ولا يكثرون طيلة المأدبة.

ولاحظت كثرة الذباب في هذا الفصل من السنة كما كانت عليه الحال عندما زرت منطقة ما وراء النهر هذه ومنها وادي فرغانة، وقد ذكرت ذلك مفصلاً في كتاب: (يوميات آسيا الوسطى).

حديقة ورزاب العلمية:

كنا بقينا في راحة قصيرة لبعض الوقت في الفندق بعد الغداء، وفي الخامسة والثلث كان لنا موعد حسبما جاء في البرنامج لزيارة (حديقة ورزاب العلمية) وورزاب الذي أضيفت إليه الحديقة هو النهر الذي يمر بمدينة دوشنبه العاصمة أو قل: إنه أحد أنهارها.

وقد ذهبنا إليها وتقع في داخل الغابة في أحناء الجبال، وهي بجانب قرية فيها سكان، وقد قطعنا من العاصمة إليها ٢٨ كيلومتراً مع طريق يحاذي نهر ورزاب وهو يسرع في سيره مع وادٍ ضيق وسط جبل أخضر، يتسع الوادي قليلاً ثم يضيق كثيراً، وتأخذ الجبال العالية التي تجللها الغابات بتلابيبه وتكاد تطبق عليه، وعلى من حوله.

وقد أوقف القوم الموكب في مكان منه وشربوا وشربنا معهم من نبع صافٍ زلال بارد ذكروا أنه نظيف وأنه من ذوب الثلوج من الجبال، ولايكدره شيء لأنه لا يمر بما يكدره.

هذا ويرافقنا الوفد الذي استقبلنا ولا يزال يلازمنا على رأسه وزير الشئون الدينية ونائب المفتي والدكتور غالب غايب.

ولاحظت أنهم لا يبذلون العناية اللازمة لمثل هذا المكان، وقال نائب المفتي: هذه الحديقة علمية، قلت: ولكنها مهملة.

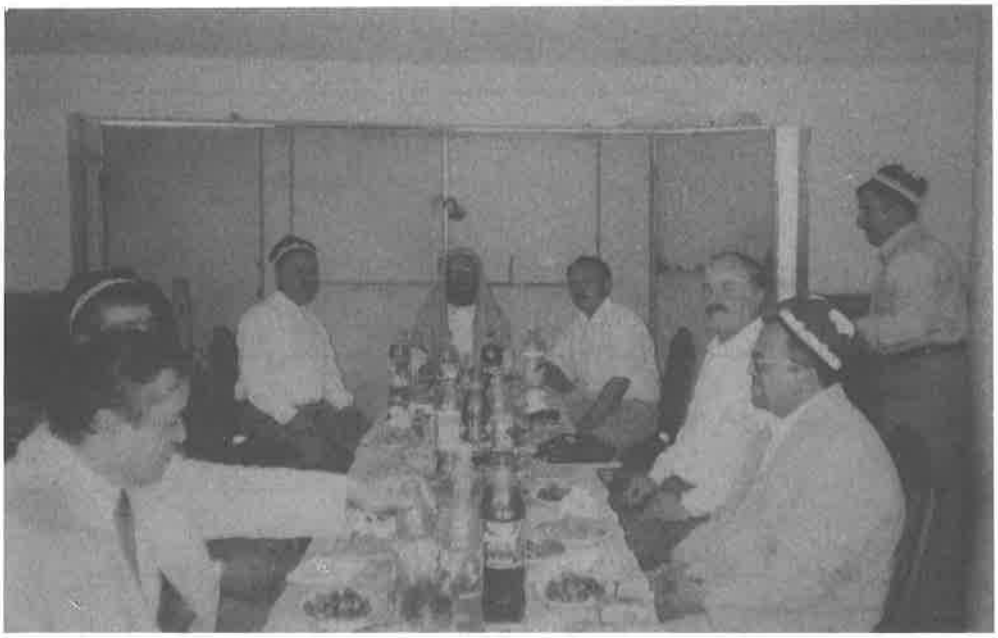

المأدبة على ضفة نهر ورزاب

وقد حدثونا عن هذا الجبل الذي يشقه نهر (ورزاب) فذكروا أن اسمه (ترنده) وأنه بارد بل ثالج، ومع ذلك فيه- كما قالوا- نبع حار قريب منا الآن تبلغ درجة حرارة مائه ٩٠ درجة مئوية، وذكر أحدهم أنه ينضج اللحم من دون نار، لمن لم يستطع أن يجد ناراً، وظني أنه لا ينضج اللحم وإنما يصلحه للأكل بعض الإصلاح، لأن ٩٠ درجة مئوية وهي أقل من درجة غليان الماء لا تنضج اللحم.

وذكروا أن عنده مستشفى يعالج بهذه المياه الحارة.

وقد قطعنا النهر من الضفة الشرقية إلى الضفة الغربية فوق جسر أقاموه على النهر.

وذكروا أن هذا المكان يقال له (شاه توت) أي ملك التوت وهو الشجر الذي يثمر فيكون أول الفواكه نضجاً، وشاه: ملك.

ذكروا أنه سمي بهذا الاسم لأن شجرة معمرة من أشجار التوت توجد تحته.

وقد ذكروا بهذه المناسبة شيئاً غريباً وهو أن شجر التوت يعمر طويلاً حتى ذكروا أن أشجاراً منه موجودة في منطقة مدينة (خجندة) التي زرناها أول الأمر يبلغ عمرها خمسمائة سنة أو تزيد!!

وهذا المكان بديع تهيج فيه شاعرية الشاعر لأن الجو بديع والمكان بديع.

وفي السادسة عصراً دعونا إلى مكان آخر على ضفة النهر فوجدنا مائدة عليها مقبلات وأنواع من الفاكهة من إنتاج هذه البلاد منها حب الملوك المعروف بالكرز، وتفاح ومشمش ومعها خبز وشواء من لحم الغنم وآخر من لحم البقر، و سمك من النهر اسمه (قل ماهي) ومعناه: زهر السمك، فقل: زهر، وماهي: سمك بالفارسية.

وهذا السمك الذي نأكله الآن هو من النهر الذي نجلس بقربه.

ولم يكدر علينا هذه الجلسة على المائدة إلا وجود الذباب.

العودة إلى دوشنبه:

وفي السابعة والنصف بدأنا العودة إلى مدينة دوشنبه قاصدين فندقنا، (فندق تاجيكستان) ومررنا بجامعة الإمام الترمذي فرأينا لافتة على مكان فيها (خاتم سليمان) ولا أدري معنى هذا.

يوم الخميس: ١٤٢٢/٣/١٥هـ:

إلى مدينة حصار:

زرت في المرة السابقة لمجيئ إلى تاجيكستان (قلعة حصار) ويسمونها (قلعي حصار) وهي في الحقيقة (قُهندز) وهذا يعني القلعة الكبيرة أو المدينة الصغيرة المحصنة التي يسكن فيها الملك أو الحاكم ورجال دولته وأسرته ويكون فيها المساجد والمدارس وغيرها من المرافق وتلك واقعة في (وادي حصار) وقد زرتها وزرت بعدها أنموذجاً لهذا (القهندز)، وتلك لفظة أعجمية في مدينة (خيوه) في خوارزم، وذكرت ذلك مفصلاً في كتاب: (يوميات آسيا الوسطى).

أما اليوم فإن زيارتنا ستكون لمدينة (حصار) نفسها.

غادرنا مدينة دوشنبه في التاسعة والنصف صباحاً بصحبة المرافقين الذين على رأسهم وزير الشئون الدينية ونائب المفتي لكون المفتي لا يستطيع مرافقتنا لكبر سنه ومرضه كما أخبرونا وآخرون بحيث كنا في سيارتين.

ريف تاجيكستان

وخرجنا من دوشنبه فوقعنا فجأة في الريف كما هي العادة في المدن الشيوعية بمعنى التي كان يحكمها شيوعيون بأن تنقطع المدينة فجأة، وذلك لأن الشيوعيين لم يكونوا يأذنون للناس بأن يبنوا لهم بيوتاً خاصة ولا مصانع وإنما يفعل ذلك الدولة.

فالدولة هي ممثلة في الحكومة الشيوعية تبني عمارات- أبنية عالية متعددة الطوابق- مؤلفة من شقق صغيرة تبيعها على الناس بيعاً لا يملكونها فيه وإنما هو بمثابة التمليك بأجرة رمزية.

لذلك لا يرى- في الغالب- من يخرج من المدينة إلى الريف منازل خاصة منفردة أو مصانع صغيرة أو حتى أبنية مؤسسات عامة.

أشجار التوت على الطريق بين دوشنبه ومدينة حصار

ومررنا بنهر لم أعرف اسمه ولكنه صغير ذكروا أنه يذهب إلى سمرقند، وقال أحدهم: إنه يصب في زرفشان الذي هو نهر سمرقند.

وكنت رأيته يجري في مدينة سمرقند، نزر المياه ضعيف الجرية مع أنني كنت قرأت عنه قراءة مغرية في كتب التاريخ، وفسرت ذلك بأنه كانت سحبت منه مياه كثيرة قبل وصوله إلى سمرقند.

أما هنا فإنه أغزر مياهاً وأحسن مظهراً.

واسمه من الفارسية لأن هذه الجمهورية كما هو معروف تتكلم الفارسية وكذلك منطقة مدينة سمرقند وبخارى تتكلمان الفارسية إلا أن وقوعهما الآن داخل جمهورية أوزبكستان التي تتكلم اللغة الأوزبكية

المتفرعة من التركية القديمة أضعف نفوذ الفارسية فيهما.

ولذلك سألت عن معنى اسم هذا النهر بالفارسية فقيل لي إنه بمعنى (الذهب المنثور) لأن (زر): ذهب، وهي كلمة دخلت العربية ابتداء من العصور الوسطى وكانت موجودة في العامية في بلادنا إلى عهد قريب، إذْ كان لهم عملة ذهبية تسمى (زر) بمعنى الذهبية، وقد ذكرت هذه اللفظة في كتاب: (معجم الكلمات الدخيلة في لغتنا الدارجة).

أما فشان فمعناها: المنثور.

وقد سلكنا الطريق وهو جيد في هذا الريف يتألف من جزئين أحدهما للذاهب إلى العاصمة والثاني للأيب منها.

وبين جزئيي الطريق جزيرة رأيت فيها عدداً من النساء لا أدري ماذا ينتظرن، فهن ذوات لباس حريري مزركش مما يدل على أنهن ينتظرن أحداً أو ينتظرن من يحملهن بالأجرة.

ورأيت في هذا الريف أيضاً نساء عاملات معهن المساحي- جمع مسحاة- وهي المجرفة، ومساحيهم طويلة الأذرع التي يراد بها ما نسميه بالنصاب: نصاب المسحاة وهو العود الخشبي الذي يمسك به من يستعمل المسحاة كما هو ظاهر.

وأولئك النساء ذاهبات للعمل.

ثم كثرت رؤية النساء اللاتي معهن المساحي، مما يدل على أنهن من العاملات في الزراعة.

ثم وصلنا إلى (وادي حصار) التي تقع فيه مدينة (حصار) التي نحن ذاهبون إليها وهو وادٍ فسيح ليس حوله جبال تضايقه وخصب للزراعة.

ومن الملاحظ أن اللافتات في هذا الطريق مكتوبة باللغة الروسية وبالحروف الروسية، وهذا غير طبيعي، وإنما الطبيعي أن تكون بالفارسية ذات الحروف العربية، ولا شك في أن هذا هو استمرار لوضع قديم عندهم.

ورأيت أشجاراً كثيرة من أشجار العنب على عرائش واسعة كالتي تكون عندنا، وزاد المنظر شبهاً بما عندنا وجود حقول برسيم نضر، والشيء الكثير عندهم وبخاصة على الشارع العام طريق السيارات وجود أشجار التوت المزدهرة، فهذه لم نكن نعرفها في القديم.

ولكنها جربت عندنا فنجحت زراعتها وازدهرت ومن ذلك أشجار غرستها في بيت لي قديم متسع في بريدة وكان ثمرها من الأحمر الجيد.

ومنظر آخر لا يوجد في بلادنا وهو منظر رجل راكب على بغل، فالبغال عندنا غير موجودة ولا يتخذها الناس للركوب، لأن بلادنا سهلة غير جبلية والمركوب الرئيسي فيها هو البعير، وبعده الحمار في المزارع والأرياف.

ومعلوم أن البغال أصبر الدواب على صعود الجبال والسير في الأماكن الجبلية والأماكن الصخرية.

الطريق بين دوشنبه وحصار

مدينة حصار:

وصلنا مدينة حصار فاستقبلنا جمع من أهلها على رأسهم متولي الممسجد بمعنى رئيس جمعيته ويسمونه (متولي) فقط ومعهم إمام المسجد وخطيبه.

فذهبنا رأساً معهم إلى مشاهدة مسجد، بل جامع كبير يبنى جديداً وليس في مكان مسجد قديم واسمه فيه تجديد بالنسبة إلى ما كنا عهدناه في تسميات المساجد وهو (مسجد رسول الله).

ألفينا هذا المسجد واسعاً مرتفع السقف، بشكل لافت للنظر، ولك أن تتصور أن المصلى الذي هو المسجد الرئيسي سعته ٥٠ متر في ٥٠ إلى

جانب كون سقفه مرتفعاً، مما كلف جهداً ومالاً لا يبذلها إلا محبٌ لهذا الدين الإسلامي الحنيف، ويبدو لمن لا يعرفون الأمور ان حكومة من الحكومات تقوم عليه، والواقع أن الذي يقوم عليه أهل الخير، فهم جمعوا التبرعات ووجدوا- كما أخبرونا- إقبالاً على التبرع السخي له رغم الحالة الاقتصادية السيئة التي تسود بلادهم في الوقت الحاضر.

جامع مدينة حصار

وارتفاع المسجد وهو المصلى الريسي تسعة أمتار من أرضه إلى سقفه، أما المنارة فارتفعاها ٢٦ متراً.

وفيه ملحقات عديدة منها مصلى النساء ويقع فوق شرفة على رواقه.

وقد أخبرونا أن القائمين على التبرع له بصفة رئيسية اثنان من أهل

مدينة (حصار) ولا أدري أهما من سكانها الآن أم يعيشان في الخارج حيث يمكن أن يجمع المال اللازم لذلك، وهما عبدالحكيم بن عثمان و(دايات) أي حبيب الله، (خدى يات) معلوم أن (خُدَى) بالفارسية تعني اسم الجلالة (الله)، أما (يات) فمعناه: حبيب.

وذكرنا أنهما يعملان في التجارة، وقد شكرتهما وبينت فضل العمل في المسجد، وأنه من الثواب المستمر الذي لا ينقطع بموت صاحبه.

وذكرت لهم الاحاديث الواردة في فضل بناء المساجد ومنه الحديث المشهور: (مَنْ بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة).

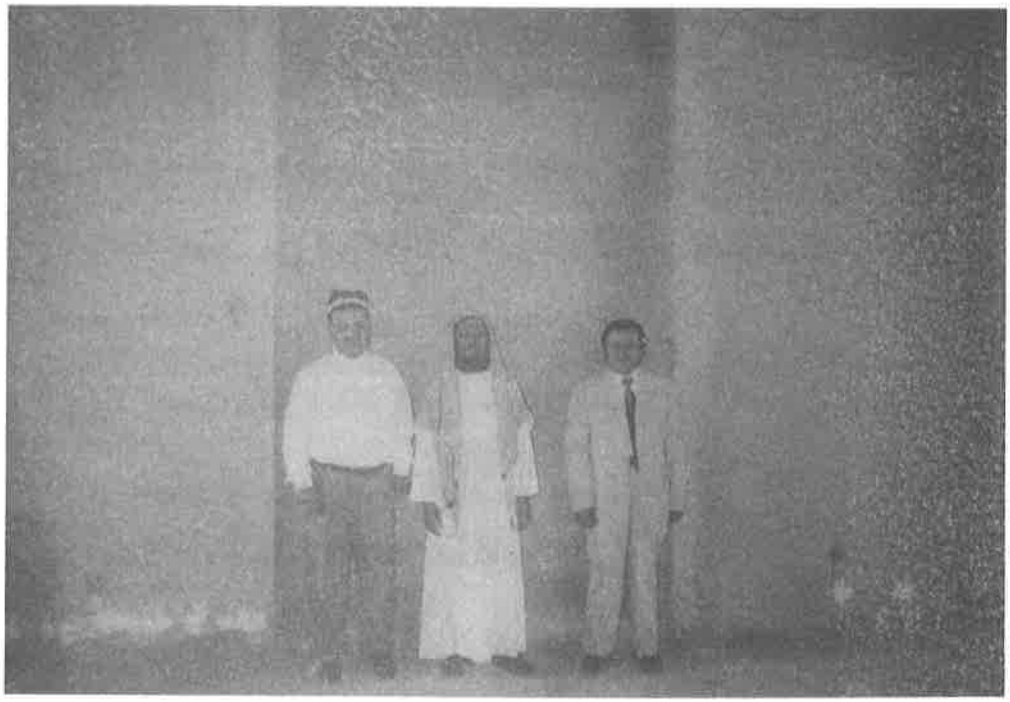

في محراب جامع حصار بين وزير الشئون الدينية على يساري وإمام المسجد على يميني

ومفحص القطاة وهي طائر بري أكبَر قليلاً من الحمامة هو مكانها من الأرض عندما تريد النوم أو اللبث قليلاً فهي لا تقع على الأشجار وتبيت فوقها كما تفعل أكثر الطيور، وإنما تبقى في الأرض في الليل غير أنها تفحص الأرض، أي تبعد الحصى الصغيرة أو الأعواد المؤذية عن المكان الذي تنام فيه.

وقلت لهم: إن وجود هذا الجامع العظيم في بلادكم مع وجود جامعة الإمام الترمذي مما يبعث الأمل العظيم في نفوسنا بأن هذه البلاد العظيمة بإسهاماتها العلمية والثقافية في الماضي سوف تعود إلى مثل ذلك في المستقبل بإذن الله.

ومن الطريف الذي له معنى رائع أنهم ذكروا أن إمام المسجد ينفق على بنائه أيضاً، لأنه يشتغل بالتجارة ويسهم في نفقات بناء المسجد.

وهذا عجيب من أمرهم، لأن الذي عرفناه أن يصرف لأئمة المساجد رواتب، ونفقات لا أن يصرفوا على المسجد شيئاً.

وقد التقطت صورة تذكارية في محراب المسجد مع الإخوة المتبرعين.

وعندما رأيت هذا العمل الجليل العظيم القائم كله على التبرعات قلت ما قاله بعض الأقدمين: إن هذا عطاء من لا يخشى الفقر.

ولكن هؤلاء القوم يخشون الله حق الخشية، وقد غلب ذلك في نفوسهم على خشية الفقر.

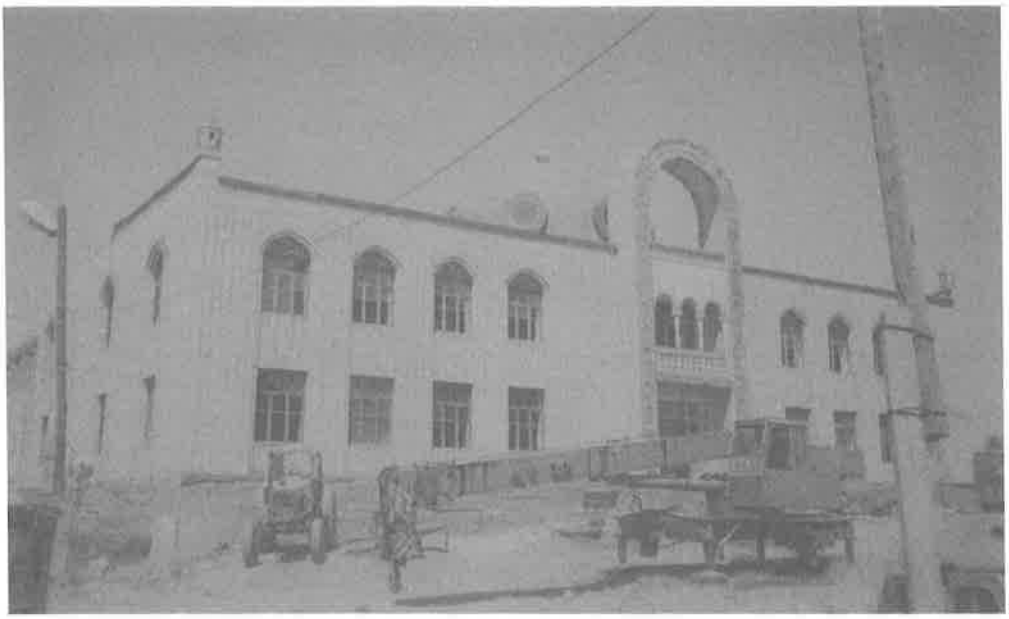

المدرسة الإسلامية في حصار

وقد بنوا بجانب المسجد مدرسة واسعة واقعة على الطريق العام لو كانت وحدها لكان بناؤها معجزة في ظروفهم الاقتصادية السيئة.

ومن أبرز معالم مبنى المدرسة هذه قبة جيدة وتبادر إلى ذهني موضع السخاء والبخل فوجدت أن هؤلاء القوم وأمثالهم من الذين سخت أنفسهم بهذا المال الكثير مع ضعف الاقتصاد، وعدم مساعدة الدولة هم أكثر سخاء من الذين يبذلون الطعام، ولكنهم لا يوجدون ببلادهم مشروعات إسلامية نافعة.

من الأشياء الجيدة أنه تمر بالمسجد والمدرسة قناة من الماء من النبع البارد تأتي من الجبل لتروي هذه المنطقة وليست من نهر من النهرين المعروفين اللذين يمران بالعاصمة، أو منطقتها.

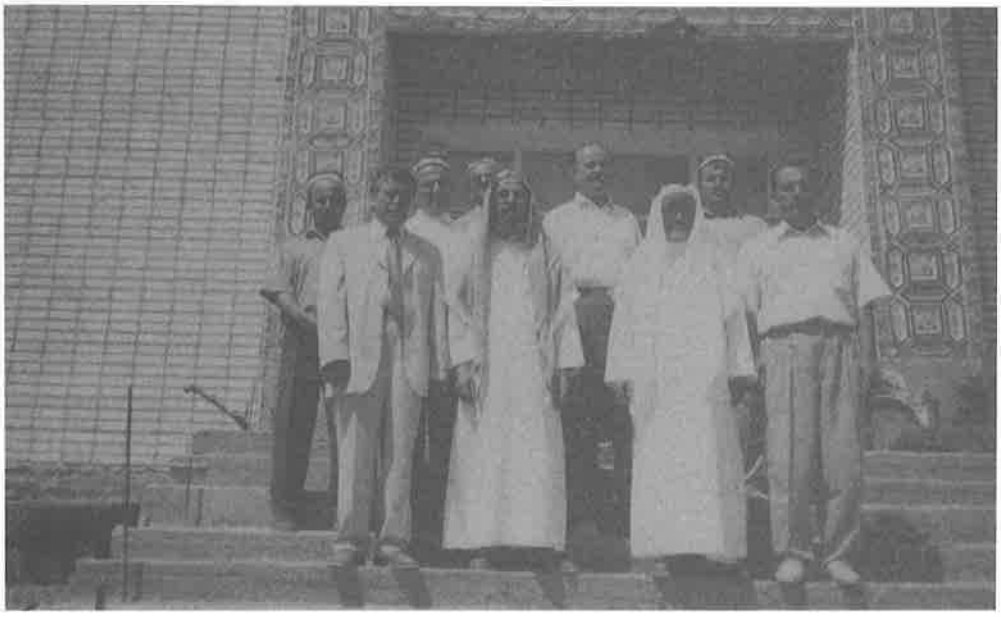

عند مدخل المدرسة في مدينةحصار مع الإخوة
على يميني وزير الشئون الدينية في تاجيكستان

مأدبة الأسخياء:

كأنما كانت هذه الفقرة هنا جاءت من دون أن نحسب لها حساباً لتبين سخاء هؤلاء الإخوة بالطعام أيضاً إلى جانب سخائهم بالمال للمشروعات الإسلامية.

فقد ذهبوا بنا إلى بيت إمام المسجد حيث وجدناهم أعدوا فيه مائدة طويلة عليها أطايب الطعام وبجانبها مائدة أخرى، وذلك لكثرة الحاضرين فنحن معنا ركاب سيارتين، وحضر عدد كبير من أهل مدينة (حصار) وقدرت أن المائدة تتسع لخمسين شخصاً إذا جلسوا إليها أما الطعام فإنه يكفي لأكثر من ذلك.

جلسنا على المائدة الرئيسية وتحلق على المائدة الآخرى آخرون.

ولما عجبت من كون بيت الإمام فسيحاً واسعاً، وهو في الحقيقة أو جزء منه بستان مزدهر، وقد كنا جالسين في رواق من هذا البستان.

ولما تعجبت من هذا السخاء قال لي أحدهم: الإمام تاجر، وربما كانت هذه المأدبة الغالية من جمعية المسجد، وليست من الإمام وحده.

صورة تذكارية مع أهل حصار تحت عرائش العنب

ولم تقتصر العناية في هذه المادبة على الطعام وإنما على الملاعق والصحون فهي أفخر مما في الفندق الذي نسكن فيه، رغم كونه ينزل فيه كبار القوم من الضيوف الأجانب.

ورأيتهم أحضروا نوعين من ثمار التوت أحدهما أحمر غريب رأيته وذقت طعمه لأول مرة اسمه (مارميجان) وذلك رغم كون ثمار التوت ليس غريباً عليَّ.

وأما الفاكهة الآخرى فإنها مشمش صغير وحب الملوك الذي نسميه (الكرز) وكان اسمه عندنا أول ما عرفناه محفوظاً في العلب (كريز) بالتصغير، إلا أنه هنا أصفر اللون وليس بنياً، وهذا نوع منه يكون أصفر.

وحتى الشراب جاءوا به من عصير الفاكهة التي تنمو عندهم مثل عصير الخوخ والكرز ونبات ذكروه ينمو عندهم لم اسمع به من قبل.

ونوهوا بأن جميع ما في المائدة هو مما أنتجته بلادهم تاجيكستان وليس شيء منه مستورداً.

ثم جاءوا بالطعام الرئيسي في آخر المائدة وهو الرز البخاري وأرزهم قصير الحبة، وحبته ضخمة، وقد أكثروا منه ومن الجزر الأصفر، وفوق صحن الأرز البخاري قطعة من اللحم، وقطعة أخرى من الشحم، وذلك مضاف إلى اللحم المقدم في المائدة قبل ذلك.

وذكروا كما ذكر غيرهم من أهل المنطقة بأن الرز البخاري يعتبر ختام المائدة، والختام للطعام الذي يقدم فيها.

وعندما انتهى بنا الأكل من الطعام لاحظت مائدة ثالثة، في مكان آخر لم أفطن له من قبل عليها بعض القوم من أهل البلدة فيما يظهر.

وقد تخللت هذه الجلسة على المائدة أو قبلها أحاديث مهمة اشتملت على معلومات كنا بحاجة إليها.

ومنها أن المسجد واقع في حارة من مدينة (حصار) اسمها (ملاي دوز) وإن سكان بلدة حصار دون ضواحيها يبلغ عددهم ٣٥ ألفاً.

ثم انصرفنا إلى العاصمة قاصدين فندقنا قبيل الثانية عشرة واخترقنا وسط مدينة حصار فكان ما أثار إعجابي مجدداً لباس النساء فيها الذي هو طويل سابغ ومع ذلك هو جميل مزركش لأنه من ا لحرير الطبيعي الذي تنتجه بلادهم يحصلون عليه بواسطة تغذية دودة القز وهو الحرير من أوراق شجر التوت، وعلى الكبيرات في السن من نسائها مناديل تغطي الشعر.

في محراب جامع حصار تحت البناء مع أخوين متبرعين للمسجد

وتذاكرنا هذه الأنهار والينابيع التي تنحدر من جبالهم الوعرة إلى العاصمة ومنطقتها فقال أحدهم: إنها مثل ما قيل في مصر: إنها هبة النيل وهذه هبة الجبال، فقلت: إنها هبة الله.

ومع ذلك وجدتني لا أتمنى أن تكون بلادي مثلها فيها أنهار ومياه تتجمد في الشتاء وتعقم الأرض عن العطاء فترة من الزمن، ويبقى الناس لفترة زمنية لا هم لهم إلا اتقاء البرد.

إلى بلدة كافرنهان:

مر بنا حال وصولنا الفندق صديقنا القديم الشيخ توران أكبر زاده نائب رئيس الوزراء، وذلك بناء على موعد سابق بأن نزور قريته ونرى أهلها، ونصلي في مسجدها، ونجتمع بمن يمكن أن نجتمع به من طلبة العلم فيها.

ركبنا مع الشيخ أكبر زاده على سيارته وتركنا سيارة الموكب الرسمي الحكومي بل سيارتيه، مع أننا لا نزال مع مسئول حكومي إذْ الشيخ توران أكبر زاده هو نائب رئيس الوزراء كما قدمت، وكان رئيس الإدارة الدينية في تاجيكستان عندما زرناها الزيارة الأولى قبل نحو اثنتي عشرة سنة، ولكن صلتنا مستمرة به فكان إذا جاء إلى المملكة حاجاً أو معتمراً مر بنا في رابطة العالم الإسلامي.

وذكر أنه فضل أن نركب معه بسيارته لكي نتحدث بما نشاء من دون أن نخشى أن أحداً يتابع حديثنا أو ينقل ما يدور بيننا منه.

خرجنا مع الضاحية الشرقية لمدينة دوشنبه قاصدين بلدة (كافرنهان) وذلك مع طريق واسع يشق ريفاً زراعياً خصباً متسعاً وليس مجرد وادٍ

بين الجبال، وتغطيه حقول خضر أكثرها حقول القطن الذي هو من المزروعات الرئيسية في البلاد تصدره للحصول على العملة الصعبة.

كان نائب رئيس الوزراء يحدثني عن نفسه بعد الزيارة الأولى التي قدمت بها للبلاد وبخاصة فترة استقلال البلاد ومحاولة الشيوعيين استمرار سيطرتهم على البلاد وجهاده وإخوانه جهاداً مريراً ضدهم حتى توج ذلك بالاتفاق السياسي.

المؤلف في بلدة كافرنهان مع أحد الإخوة

ولم يستمر بنا السير طويلاً حتى وصلنا بلدة (كافرنهان) التي لا تبعد عن ضاحية دوشنبه إلا بثمانية وعشرين كيلومتراً.

وقد مررنا مع ضاحية بلدة (كافرنهان) ولكننا لم ندخلها لأن برنامجنا يقتضي أن ندخلها بعد ذلك.

فكان أن ذهبنا إلى مستشفى حكومي قام على بنائه مرافقنا الشيخ أكبر جان زاده ومن معه من أهل البلدة على أمل أن توفر له الحكومة الوظائف والمال اللازم لتشغيله، إلا أن الحكومة لم تفعل كما قال.

قال: وقد اضطررنا نحن أهل البلد إلى أن نجمع التبرعات، ونجعل المستشفى يعمل رغم النقص في أدواته والأهم من ذلك النقص في أدويته.

وقد زرنا المشتشفى فوجدناه في طابقين قد كلف بناؤه مبالغ مالية غير قليلة، ووجدناه غاصاً بالمرضى فرزناه وتحدثنا إليهم ودعونا لهم بالشفاء وقد سروا بذلك.

وعندما سألتهم عما يحتاجه هذا المستشفى للنظر في تقديم مساعدة رمزية له قالوا: يحتاج إلى أشياء كثيرة، وذكروا أن سقفه يحتاج إلى عناية، وبعض الأثاث الطبي غير موجود فيه.

وقد دفعنا لهم مبلغاً عاجلاً يعتبر رمزياً من رابطة العالم الإسلامي ووعدناهم بأن نبحث موضوعه في الرابطة، ونحرص على أن نرسل إليهم مساعدة تتناسب وأهميته ومسيس حاجته للمساعدة.

تُرك أباد:

مبنى المعهد العلمي في (ترك آباد)

يصح أن يكون العنوان (قرية ترك أباد) لولا أن كلمة (أباد) يصح أن تسمى قرية لأنها تدل على الموضع المسكون، وهي كلمة فارسية شائعة الاستعمال في القارة الهندية من أشهر ذلك مدينة (إسلام آباد) عاصمة جمهورية باكستان الإسلامية وفي الهند زرت أكثر من مدينة اسمها: (إسلام آباد) وآخرها مدينة بهذا الاسم في إقليم كشمير الذي تحتله الهند.

وقد ترجم لي الإخوة أهل الهند لفظة (آباد) بأنها عمارة كذا أي المكان الذي عمره الذي أضيف إليه، ففي هذه القرية (ترك آباد) معنى

الاسم: المكان الذي عمره الترك.

و(ترك آباد) هي قرية صديقنا ومرافقنا الشيخ أكبر زاده نائب رئيس الوزراء، وقد تجولت فيها كما يأتي وعرفنا أن كونه من أهلها عاد عليهم بالخير الوفير.

وهي منسوبة إلى الترك: جمع تركي لأنه كان فيها جماعة من الأتراك، ذهبوا منها الآن إلاَّ بقايا قليلة من ذراريهم.

ولا تبعد القرية عن مدينة (كافرنهان) إلا بمسافة يسيرة.

وهي قرية زراعية خصبة فيها زراعة مزدهرة والمحصول الأساسي فيها هو القطن ذكروا لي أنه مربح، وأنه أكثر عائداً من القمح والحبوب التي تزدهر فيها أيضاً.

وضربوا مثلاً على ذلك بأن حوض القطن الذي تكلف زراعته مائتي دولار ينتج من القطن ما يباع بألف دولار، وذلك لكون نوع القطن الذي ينمو فيها جيداً ومرغوباً لدى المشترين الأجانب.

المسجد الكبير:

وصلنا إلى مسجد القرية التي هي كبيرة بحيث يصح أن تسمى بلدة صغيرة فألفينا المسجد كبيراً واسعاً ذا منارة شامخة ملونة بالرخام الملون أي أنهم اتخذوا ألوان الرخام الملون بمثابة الإصباغ وليست كذلك، وقد زينوا المنارة بها وفق ذوق فني رفيع، ويسمونه (مسجد الشيخ عبدالكريم).

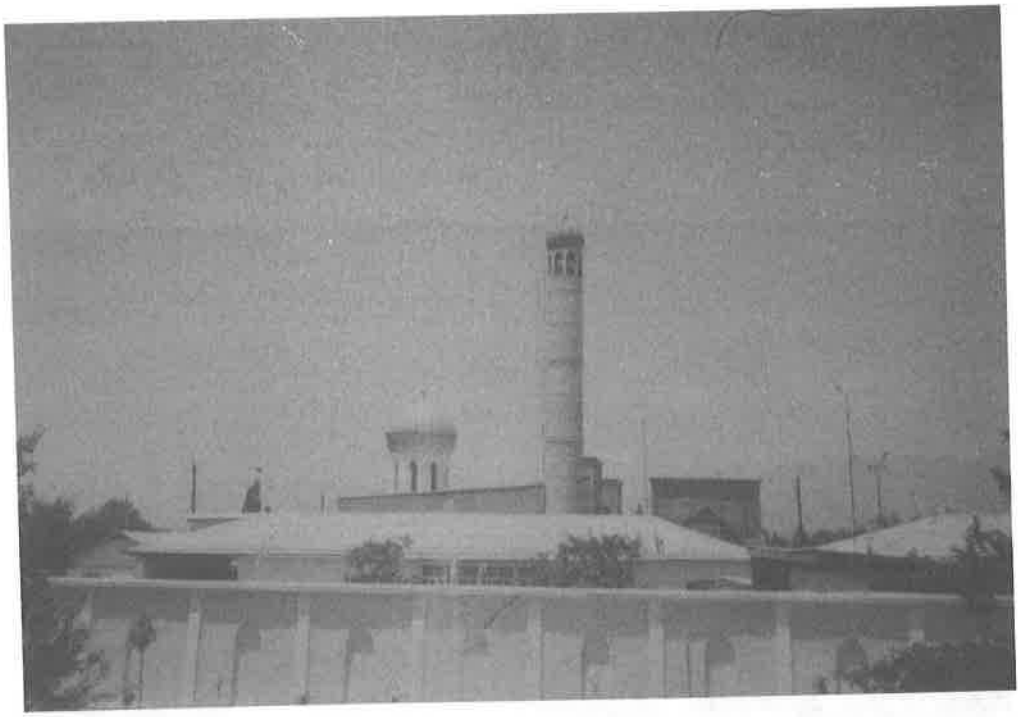

جامع بلدة ترك آباد

وبالقرب من المسجد بئر عليه مضخة تخرج الماء من الأرض إلى خزان رأيناه مليئاً بالماء لاحتياج المسجد ومرافقه للوضوء ونحوه.

وسألتهم عن عمق هذا البر التي يستخرجون منها الماء؟ فذكروا أنه ٦٠ متراً، فعجبت من أن تكون هذه البلاد ذات الانهار في الصيف والثلوج في الشتاء وبقربها أنهار يكون عمق الماء فيها الذي يستخرج للمسجد ٦٠ متراً على حين أن بستاني في حارة العكيرشة من مدينة بريدة يأخذ الماء من بئر عمقه ٣٢ متراً، والماء فيه يرتفع إذا ترك حتى لا يكون بينه وبين أن يسيح على وجه الأرض إلا أقل من المتر، وهو كثير بحيث لا ينقصه ما يأخذه المحرك الكهربائي الذي ركبناه عليه، والفرق الواضح بين الماء

في البئرين أن ماءنا فيه ملوحة أو مرارة فليس عذباً للشرب، وقد أدخلنا في بستاننا ماء الشرب الحكومي الذي ينفق منه بعداد رسمي، وأما ماء البئر فإنه كثير مجاني كما هو ظاهر.

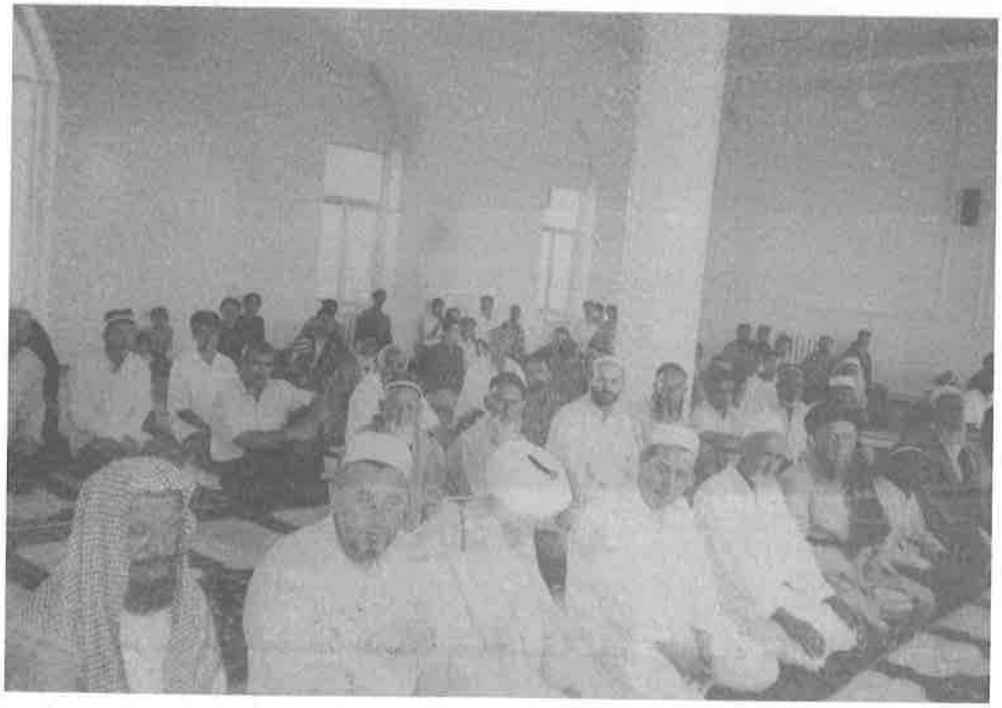

صلاة الظهر في مسجد ترك آباد

وماء بئر بستاننا في العكيرشة في بريدة رغم مرارته أو ملوحته، وهو إلى المرارة أقرب منه إلى الملوحة صالح جداً للنخل، وبخاصة النخل صادق الحلاوة كالسكري والبرحي، وفي هذا العام جنينا منه من ثمار الليمون الكبير ما عجبنا له.

وقد ذكر لي الشيخ أكبر زاده أن ماء هذه البئر هو للمسجد وما

حوله، وليس مقتصراً على توفير الماء للمسجد وحده، بل قال: إن الماء للقرية كلها بالمجان، وهذا من بركات وجود الشيخ في هذه القرية التي هي مسكنه ومسكن آبائه من قبل، بل إن المستشفى الذي سبق ذكره انشيء بسبب جهوده جزاه الله خيراً.

هذا ومكان الصلاة في المسجد متوسط السعة، وإنما السعة الشاملة في مرافق المسجد أيضاً.

والمصلى المسقوف تحته من إحدى الجهات- غرف للرجال مما كنا نسميه في عهودنا القديمة (خَلْوة) وهي الطابق الأرضي يكون تحت المسجد يصلي فيه الناس في أوقات البرد في تلك العصور التي لم تكن توجد فيها وسائل للتدفئة غير إيقاد النار بالحطب ولا يمكن عمل ذلك في المسجد.

وتتخذ جمعية المسجد بعض هذا الطابق الأرضي مقراً لها تعقد فيه اجتماعها.

وفيه أيضاً فصول للدراسة خاصة بالنساء.

مبنى المعهد الديني:

يقع المعهد الديني مقابلاً للمسجد الكبير الذي هو المسجد الجامع في قرية (ترك آباد) هذه وهو مبنى فاخر، عندما دخلنا إليه أعجبنا تنظيمه الجيد وقد انتهوا من القسم الجنوبي منه ويعملون الآن في القسم الشمالي.

وفصول الدراسة فيه حديثة جيدة قد وفرت فيها الشروط اللازمة للفصول الدراسية من الإضاءة الكافية الجيدة.

ثم صعدنا إلى الطابق الأعلى منه وفيه مهاجع الطلبة في كل غرفة

أربعة أسرة قد فصلوا بين الإبنين منهما بفاصل وهما متقابلان، وفي كل غرفة خزانة لكل طالب من الذين يسكنون فيها ومكتب أي مائدة كتابة من الخشب الجيد.

وكل ما تم منه هو من تبرعات الأهالي من داخل تاجيكستان، ولم يتلقوا معونة على ذلك من الخارج.

وبعد ذلك انتقلنا مع الشيخ أكبر جان زاده، إلى بيته غير البعيد من المسجد وهو قصر فخم، أثاثه لائق بنائب رئيس مجلس الوزراء، فجلسنا في غرفة الجلوس التي يجانبها مائدة عليها أنواع الفاكهة الموجودة في هذه البلاد منها تفاح أحمر كبير الحجم و(أمرود) وهو الجوافا ومشمش وخوخ ونوعان من الكرز أحدهما أحمر، والثاني أصفر، وبجانب ذلك مكسرات منوعة.

ولاحظت من مظاهر العناية في بيته أنه حتى البزابيز وهي صنابير الماء مطلية بطلاء ذهبي اللون.

والمجلس فيه مرتفع عن بقية المكان كما يرتفع المسرح إلا أن أرتفاعه قليل، وبجانب المجلس قوس واسع يدخل معه إلى قاعة للجلوس أخرى، والآثاث في البيت فاخر.

ولم نمض طويل وقت لأن وقت صلاة الظهر أزف فأسرعنا إلى المسجد الذي وجدنا فيه أباه شيخاً كبيراً أبيض اللون وأفر اللحية.

وسلم علينا أخوه نور الدين وهو إمام هذا المسجد الجامع.

المؤلف بين نائب رئيس الوزراء الشيخ أكبر توران زاده على يميني وبين والده وعلى يسار الوالد أخوه

صلينا خلفه صلاة الظهر فأعجبني طمانينته في الصلاة، وعدم عجلته فيها خلاف ما عهدنا من المتمذهبين بالمذهب الحنفي في بلاد الهند وأمثالها من استعجالهم في الصلاة، وعدم اشتراط الطمأنينة فيها عندهم.

وقد شجعت الأخ الإمام نور الدين بعد الصلاة على الاستمرار في اطمئنانه في الصلاة، وقلت له: صلاتك صلاة أهل الحديث، فقال: أنا من أهل الحديث.

فوجهت كلامي للجميع قائلاً: إن بعض الناس ينقرون الصلاة نقراً بمعنى أنهم يسرعون فيها من دون اطمئنان ثم يزيدون في صلاة النافلة ركعات كثيرة

يصلونها لا يخلون بها، ولو انهم أقلوا من النوافل واطمأنوا في الفريضة لكان هذا مناسباً إذا لم يمكنهم الإطمئنان في الصلاة إلا إذا خففوا من النافلة.

وبعد الصلاة التفت الإمام إلى المأمومين فدعا بما لا يسمع أي دعا سراً وعقبه بتحميد وتسبيح ثم قراءة آيات من القرآن الكريم عاد بعدها إلى الدعاء فدعا مرتين.

وهذه عادة عندهم يحرصون على إتباعها، وقد يظن بعض الجهال والعوام أنها من الصلاة الواجبة، لذا ينبغي لإمام المسجد أن يترك فعلها في بعض الأحيان ليعرف الناس أنها ليست لازمة أو يشرح لهم ذلك شرحاً واضحاً.

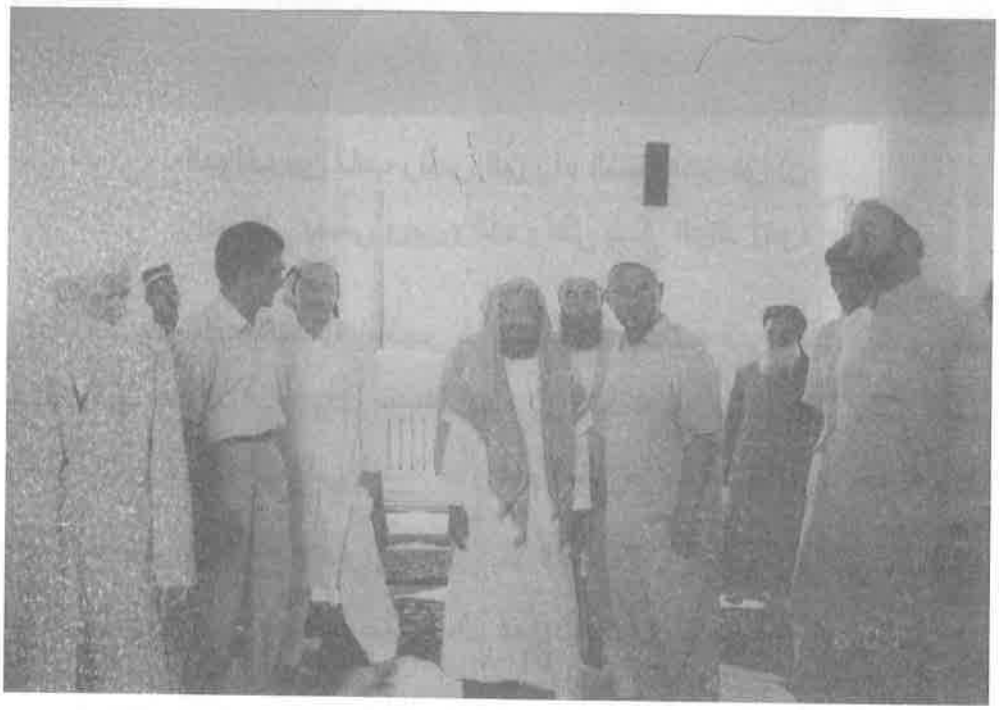

هذا وقد صلى معنا صلاة الظهر نحو تسعين ولما استكثرت ذلك مع أن الوقت وقت عمل ذكروا أن الذين يصلون الجمعة في هذا المسجد يصل عددهم أحياناً إلى أربعة آلاف مصلٍّ، وإن كل ركن من ملحقات الجامع يمتليء بالمصلين.

عدنا إلى بيت الشيخ القاضي- كما ينادونه- توران زاده، ومعنا والده الوقور (محمد رفيع توران زاده) فوجدنا المائدة في البيت قد أعدت، وكان أولها حساء (شربة) بلحم الغنم في بلادهم التي ترعى فيها الإغنام الأعشاب البرية، ومع أوائل الطعام (المسبوسك) وقد أوردت هذه اللفظة لأنني لا أحفظ لها لفظاً عربياً شائعاً، مع أنها دخلت العربية مند القدم ووردت في أشعار العهد العباسي كما ذكرت ذلك في كتاب: (معجم الألفاظ الدخيلة في لغتنا الدارجة)، وقد أكثروا في باطن (السمبوسك) من اللحم والشحم.

وآخر المائدة الرز البخاري الدسم.

وقد رأينا عنده تلفازاً على طبق لاقط فيه بعض القنوات العربية مثل قناة الجزيرة القطرية فشاهدنا الأخبار العربية فيها.

ومما يجدر التنبيه عليه أن مضيفنا القاضي أكبر توران زاده يتقن العربية ويتحدث بها كما يتحدث بها أهلها.

وقد جعلوا بعد المائدة مكسرات معها حلوى.

مع نائب رئيس الوزراء الشيخ أكبر توران
زاده في بيته تحت شجرة تفاح مثمرة

مدينة كافرنهان:

كانت الساعة قد بلغت الثالثة أو نحوها فودعناهم جميعاً وعلى رأسهم والد القاضي وأخوه إمام القرية، وقد أراد أن يصحبنا في العودة فامتنعنا من ذلك فأرسل معنا ابن عم له بسيارته.

وأخبرنا أن قريتهم تبعد عن مركز مدينة دوشنبه بثلاثين كيلومتراً، ولكننا لن نذهب إليها مباشرة، وإنما سنذهب إلى مدينة (كافرنهان) في الطريق إلى دوشنبه.

وتعتبر مدينة (كافرنهان) مركزاً لعدد من القرى والمزارع يبلغ مجموع سكانها (٣٠٠) ألف.

قصدنا مركز مدينة (كافرنهان) أي وسطها الذي هو القلب التجاري لها، ومن أهم مميزات هذا المركز التجاري أن فيه ميداناً فيه صورة طائرة حربية ، على عادة الاتحاد السوفيتي السابق في إظهار القوة الحربية التي تخيف الأعداء.

نهر كافرنهان:

سميت هذه المدينة أو البلدة بمعنى المدينة غير الكبيرة عندنا باسم نهر يسمى (كافرنهان) وقد لحقت به التسمية قبل أن تبنى البلدة.

ومعنى (كافرنهان): مصرع الكفار أو مدفن الكفار، وذلك أن قوماً من الكفار في الزمن القديم الذي لا يعرف مرافقونا تاريخه المحدد، ولكنهم ذكروا أنه قد مضت عليه قرون وجدت جثث كفار في هذا النهر، فاعتبر الأهالي ذلك بمثابة المعجزة وأسموا النهر (كافرنهان) أي مصرع الكفار.

مسجد كافر نهان

وأولئك الكفار كانوا قبل مجيء الروس إلى هذه المنطقة واحتلالها بزمن طويل كما قالوا، ورغم كون أكثرية الناس هنا ومنهم أناس نابهون قرروا ما ذكرته من أن معنى (كافر نهان): مكان مصرع الكفار، فإن أحدهم قال: يزعم بعض الناس ان (كافر) هنا معناه كافور وهو طيب الرائحة، فالمراد النهر الطيب الرائحة.

وهذا إلى جانب بعده عن الواقع طبقاً لما أخبرونا به فإنه ليس ظاهراً، إذ النهر كما رأيناه الآن ليست له رائحة طبية ولا أثر للكافور فيه.

والغريب أن هذه التسمية (كافرنهان) لم تقتصر في الوقت الحاضر على هذا النهر الذي اسمه (كافرنهان) وإنما صارت اسماً على البلدة بجانبه، وعلى الناحية التي تتبعها، مما يدل على قدم هذه التسمية.

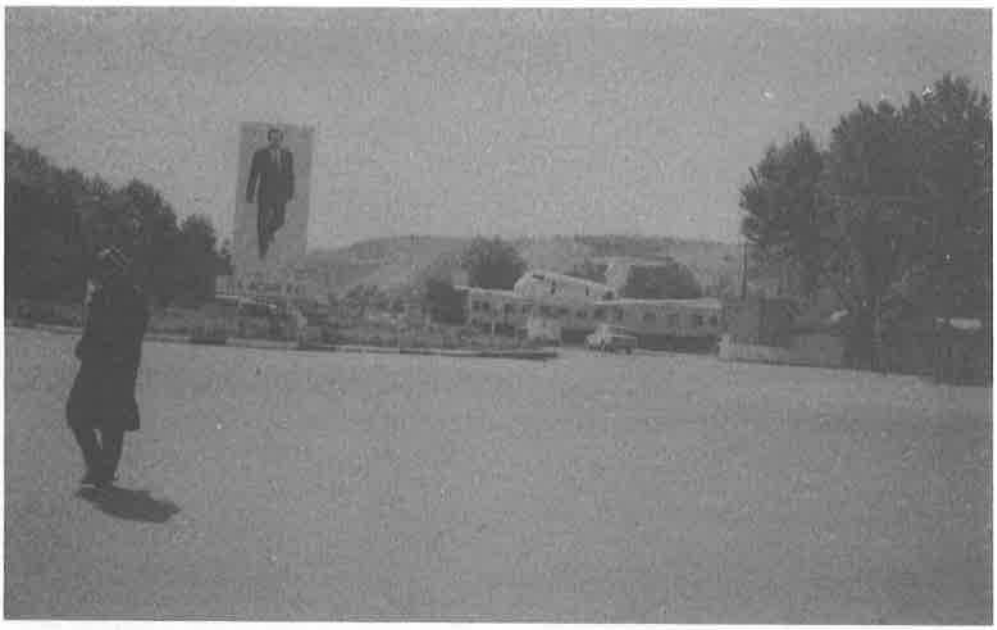

الميدان الرئيسي في بلدة كافرنهان - تاجيكستان

لم نطل اللبث في مدنية (كافرنهان) وإنما التقطت صوراً تذكارية فيها وللنهر الذي نشأت عليه، وعدنا إلى فندقنا (فندق تاجيكستان) في العاصمة دوشنبه.

جولة العصر:

كنا على موعد لجولة في الساعة الخامسة عصراً بصحبة الدكتور (غالب غايب) وهو موظف كبير في وزارة الشئون الدينية ويعرف العربية كما يعرفها أهلها، وقد ألف بها كتاباً من كتبه فهو مؤلف طبع له أكثر من كتاب: ومهتم بالتاريخ العربي الإسلامي القديم لهذه المنطقة، وستكون الجولة في مدينة دوشنبه وما حولها.

بدأت الجولة من فندقنا الواقع على شارع (رودكي) وهو شارع مهم، كان يسمى (شارع لينين) في زمن الشيوعية فأسموه (شارع رودكي) وهو شاعر قديم العصر ذكروا أنه من شعراء الجاهلية عندهم.

وعلى هذا الشارع الحديقة المركزية في المدينة ويسمونها (باغي مركزي) وباغي من (باغ) بمعنى بستان بالفارسية، ومركزي هي العربية على صيغة النسبة إلى المركز، ومكتوب عليها بالروسية كما ترجموها لنا: (باغ مركزي) بحروف روسية ومعنيين فارسي وعربي.

الأشجار الباسقة في الحديقة المركزية في دوشنبه

دخلنا الحديقة فوجدنا أكثر ما يميزها الأشجار الباسقة الضخمة الجذوع مع انها من فصيلة الأشجار التي تسمى الأسطوانية وهي التي تذهب صاعدة في السماء من دون أن تتوسع أسوقها- جمع ساق.

قابلنا فيها أربعة أ طفال فسالونا هل أنتم أتراك؟ فأجاب الرفقة: عرب، وذلك لقلة العرب الذين يزرون هذه البلاد.

وقد بالغ الدكتور (غالب غايب) في قدم هذه الحديقة وفي قِدم العمارة في منطقة (دوشنبه) فذكر أن سكن المدينة أو قريباً منه كان موجوداً في عام ٦٢ هجرية باسم ختلان أو ختل وإنها مدينة تاريخية.

عند تمثال إسماعيل سامان (من اليمين) الدكتور غالب غايب فالأستاذ رحمة الله فالمؤلف

أما الحديقة المركزية فإنها واقعة الآن في قلب مدينة (دوشنبه) وهي واسعة لم يكدرصفو سروري بها إلاَّ علمي بأنها ستصبح في الشتاء رمادية اللون، هامدة الأشجار حتى لا يظن من يراها أنه سوف يكون لها نشور.

وقلت في نفسي: إن بلادنا ولله الحمد ليست كذلك فيمكن أن يستمتع الناس بالحدائق والأشجار الخضر التي تكون فيها طيلة العام.

وقد زينوا هذه الحديقة بما لا يزينها عندنا، بل إنه يشينها وهو تمثال أبي الشيوعية الأدنى (لينين) كما هي عادتهم في المدن التي كانت شيوعية بأن يسموا على اسم لينين شارعاً رئيسياً أو ميداناً مهماً، وأن يقيموا له تمثالاً في مجمع الناس.

ميدان إسماعيل ساماني:

هذا الميدان سمي على اسم أحد ملوك بخارى وسمرقند من أسرة (سامان) التي ربما كانت أول أسرة فارسية حكمت في تلك المنطقة منطقة ما وراء النهر بعد الحكم العربي الإسلامي.

شارع رودكي في دوشنبه

وقد أقاموا في هذا الميدان الذي هو ميدان إسماعيل السامانى تمثالاً له لا شك في أنهم أستوحوه مما كتبه المؤرخون عنه، وإلا فإنه من المستبعد أن توجد له صورة في ذلك الوقت البعيد وقد أخبرونا أنهم بالفعل لم يعثروا له على صورة قديمة، وإنما استقوا هذه مما وصفته به الكتب التاريخية.

امرأتان باللباس الوطني عند تمثال إسماعيل السامانى في مدينة دوشنبه

والشيء الذي نوهوا به ويحق لهم ذلك أنهم أبدلوا اسم ميدان لينين باسم ميدان إسماعيل الساماني، وأبعدوا منه تمثالاً للينين كان مقاماً فيه زمن الشيوعية، ولكنهم أقاموا فيه تمثالاً لإسماعيل الساماني المدفون في بخارى التي كانت في ازمان طويلة مركزاً لإدارة هذه المنطقة وأقاموا يمينه ويساره تمثالين لابنيه وصوروه شاباً قوياً وليس شيخاً كبيراً أو كهلاً.

وقد قال لي الإخوة المرافقون: إن إسماعيل الساماني مسلم عريق في إسلامه وأنه كان حاكماً لمنطقة بخارى، وهو أمر معروف وقد ذكرته عندما زرت بخارى ونوهت به في كتاب: (في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر)، ينبغي أن نذكر هنا أن كتب الثقافة التاريخية لهم هي المكتوبة باللغة العربية من أول الفتح لبلادهم حتى القرن الخامس الهجري أو نحو ذلك، عندما تعاظم نفوذ اللغة الفارسية الثقافي في المنطقة.

أما لينين فإنهم لا تجمعهم به جامعة إلا جامعة الشيوعيين الذين ذهبوا مع ذهاب الشيوعية، والذين بقوا منهم في مناصبهم القديمة صاروا يتبرؤون من الشيوعية ويقولون: إنهم وطنيون وإن كان بعضهم يعادي من يقومون بالدعوة الإسلامية أو من يعرف عنهم الالتزام بالإسلام.

المجلس النيابي:

يقابل هذه الحديقة من جهة الشرق (المجلس النيابي- البرلمان) وهذه التسمية قديمة للشيوعية، وإن كانوا يسمونه (مجلس السوفيت) فهي شكلية غير صحيحة إذْ كان الجملس في عهدهم مؤلفاً من شيوعيين يرشحهم

الحزب الشيوعي الذي يحكم البلاد، ولكنه يرشح أكثر من واحد منهم، ويطلب من الشعب أن يختار واحداً منهم، وإذا تقدم شخص من غير الشيوعيين لم يسمح له بالترشيح للبرلمان، فضلاً عن كونه ينتخب فيه.

أمام مبنى البرلمان، ومبنى وزارة الخارجية في دوشنبه مع الدكتور غالب غايب (في أيمن الصورة)

وبجانب هذا المجلس النيابي (وزارة الخارجية) في مبنى صغير لا يتناسب مع أهميتها في نظرنا نحن الذين تعودنا على رؤية الأبنية الكبيرة الضخمة للوزارات والإدارات الحكومية المهمة.

وقد طلوا مبنى البرلمان ووزارة الخارجية باللون الأحمر.

ثم واصلنا سيرنا في شارع رودكي فانتقلنا للقسم الجنوبي منه ومن أكثر مما استرعى انتباهنا فيه تعانق الأشجار التي فيه وذلك لسعة فروعها وكثرة أغصانها.

وقد جعلوا في وسطه جزيرة فيها أشجار عالية.

تمثال الكاتب:

ينتهي شارع (رودكي) بميدان صغير فيه تمثال لكاتب ذي مكانة عندهم هو (صدر الدين عيني) وهو كاتب شهير بالفارسية وله كتب عديدة منها قصة بخارى.

وقد عاش في آخر القرن التاسع عشر وأول القرن العشرين ومات في عام ١٩٥٤، وذكروا أنه لاهميته عندهم صوروا صورته على بعض نقودهم من فئة خمسة (ساماني) وربما كان من آل سامان أو كان منتسباً إليهم، أريت كيف يهتمون بالكتاب والمؤلفين؟

وفي هذا الميدان بركة صغيرة يسبح فيها أطفال عرايا وأشباه عرايا، ربما رأى أهلوهم أو من يرونهم من الناس أن حر الصيف يشفع لهم بذلك.

وعلى يمين هذا الميدان تقع الجامعة الوطنية، ولم ندخلها لعدم مناسبة الوقت لذلك.

ويقابل تمثال الكاتب المتحف الوطني.

تمثال الشاعر رودكي في دوشنبه

وبجانبه ميدان محطة القطارات فيه نافورة كبيرة، وقلت لهم تشبيهاً بما قاله بعض المغفلين عندما سئل عن القمر في الشتاء أين يذهب؟ وذلك أن الناس لا يجلسون أو يعيشون في العراء في الشتاء وتكون السماء فيها غيوم تحجب القمر، فقلت لهم: ماذا تفعلون بهذه النافورة في الشتاء، إذا استحكم البرد وجمد الماءُ؟

فذكروا أنها تتوقف بطبيعة الحال.

وكان في هذا الميدان تمثال لأحد القادة الروس فأبعدوه عنها.

كان الدكتور غالب غايب يحدثني حديث الخبير بتاريخ هذه البلاد

لانه مطلع ومؤلف له ثلاثة كتب بالروسية وخمسة بالفارسية، إضافة إلى معرفته الجيدة بالعربية، وذكر أن مؤلفاته كلها تتعلق بالتاريخ.

ثم سلكنا شارع المطار ويسمى جزء منه شارع (عيني) ويراد به الكاتب صد رالدين عيني الذي سبق ذكره، وعاد الدكتور غالب إلى ذكر (العيني) الكاتب هذا فذكر أن احد كتبه ترجم إلى اللغة العربية وهو قصة (بخارى) ويقال إنه كان ينتقد المجتمع الموجود في وقته وإن الشيوعيين كانوا قدروه بناء على ذلك.

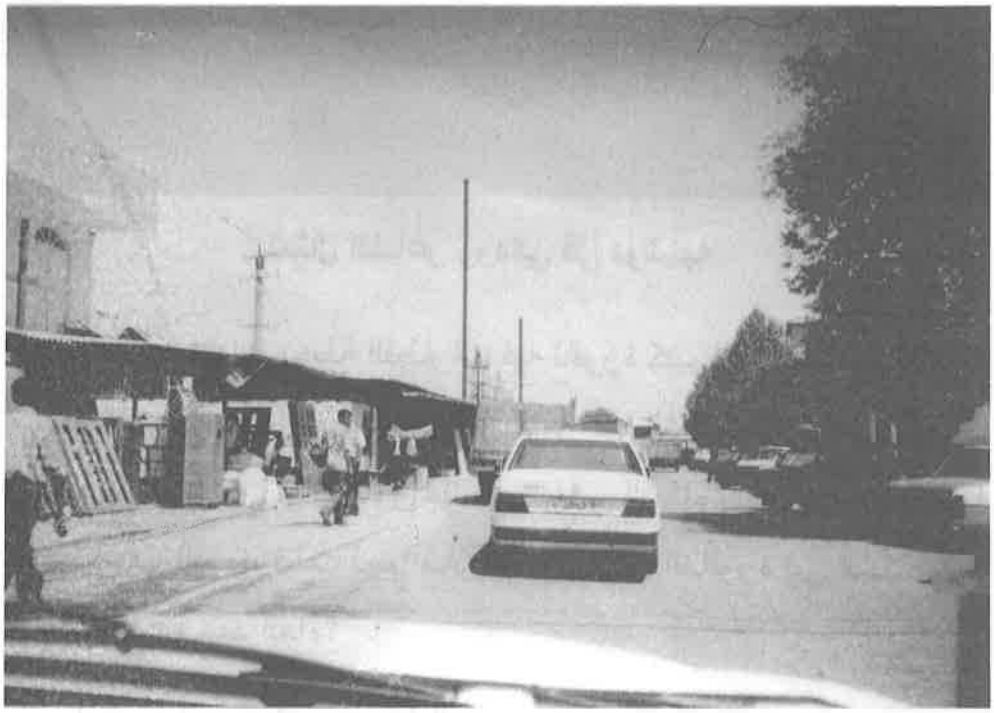

الشارع المفضي إلى فندقنا في دوشنبه

شارع أحمد دانش:

وهذا الشارع فيه نفق عليه جسر هو النفق الثاني في مدينة دوشنبه العاصمة فليس فيها إلا اثنان.

أما أحمد دانش الذي سمي الشارع باسمه فإنه كان يعيش في القرن التاسع عشر وكانت البلاد تحكم من بخارى وتسمى هي (بخارى) الشرقية، ولذلك يطالب بها أهل تاجيكستان في الوقت الحاضر مثلما يطالبون بمدينته وما حولها، وهما الآن يتبعان جمهورية أوزبكستان، وذلك من أسباب التوتر بين الجمهوريتين، وذكر أن أحمد دانش هذا عالم من العلماء شهد ست سنين من حكم الروس للمنطقة، قبل أن يصبح الروس شيوعيين، بل كانوا آنذاك مجرد غزاة مستعمرين أو لنقل حاكمين.

وسرنا حتى وصلنا المطار أمامه من جهة المدينة نافورة وفيه حدائق وتمثال رجل رياضي مشدود الجسم.

والشوارع الرئيسية التي سلكناها اليوم نظيفة معتنى بها.

سوق الملك منصور:

ويسمونه (سوق شاه منصور) وشاه: ملك.

وهو سوق للخضرات والفاكهة وغيرها رأينا فيه البصل كثيراً كثرة لافتة للنظر، وقال المرافقون: إن الناس اعتادوا على أكل الطعام الدسم، والبصل يقاوم أثر الدسم على الدم وعلى الهضم وهم يعلمون ذلك.

ومع ذلك وجدناه بحيث يبيعونه أكواماً تكون الواحدة نحو الكيلو بما يعادل نصف ريال أو أقل من ذلك قليلاً، ورأيت البطاطس عندهم رمادي اللون فظننته فقعاً أي كمأة لأنه يشبهها على البعد، وقال المواطنون معنا: إن الفقع كان كثيراً ولكن موسم جنيه انتهى قبل أسبوعين.

ومن كثرة البطاطس في هذا السوق أنني رأيتهم يجعلونه كومة يضم البائع بعضها إلى بعض بالمسحاة التي هي المجرفة.

أما الحبحب أو الجح وهو البطيخ الأخضر فإنه موجود ولكن لم يكثر بعد فهو في أول موسمه الآن ولذلك هو غالي الثمن، ورأيت لحم بقر جيداً أخبروني أن الكيلو يباع بما يعادل دولاراً ونصفاً.

ورأيت دكان عطار في السوق مليئاً بالحبوب والمواد الطبية القديمة بأنواعها المعروفة لنا وغير المعروفة، ومن المعروفة الحبة السوداء التي تسميها العامة (حبة البركة) واشتريت منه شيئاً منها رخيص الثمن، وفيه أيضاً الكمون والكراويا وبزر الجرجير.

وهنا بائعات يبعن الجبن أيضاً.

ورأيتهم يبيعون الطبق من البيض الذي فيه ثلاثون بيضة بما يعادل دولارين أمريكيين وهذا رخيص ولكنه ليس بالغ الرخص، إلا أن الرخص البالغ هو في الفاكهة التي تخرجها بلادهم مثل حب الملوك (الكرز) وهم يبيعون الممتاز منه بنصف دولار للكيلو، والفاكهة المسماة عندنا بالبخارَى- بفتح الراء- ثمنها ما يعادل أقل قليلاً من الريال السعودي للكيلو،

والخوخ الكبير الممتاز بنصف دولار للكيلو، ومثله يباع عندنا باثني عشر ريالاً، وهو مستورد ولا ينتج كثيراً في بلادنا، أما الخوخ المعروف الذي عندنا فإنه الأخضر الصغير.

وأرخص من ذلك وأفضل المشمش الجيد وثمنه ثلث دولار للكيلو.

وأما الطماطم فإنهم يبيعون الكيلو منها بخمس دولار، والفراولة الكيل مائتين (ساماني) وتعادل أربعة أخماس الدولار.

ومن الطريف في هذا السوق أنني رأيت نساء فيه معهن مَرَق يبعنه على الناس ولم أرهم يسألونهن عن المرق هذا أي مرق هو وهل هومرق لحم الغنم أم البقر أم مرق الدجاج.

أما اللبن فإنه مع النساء كثير معروض للبيع ولكن هذا ليس بغريب لأنه يباع هكذا في بلدان كثيرة مع نساء يجلسن به في الأسواق، وإنما الغريب في هذه البلاد كما رايتها هي أكارع جمع كراع من أكارع الغنم، مطبوخة ناضجة يشتريها المشتري من المرأة البائعة ويأكلها مباشرة إذا أراد وإلا لفتها له بورقة وأخذها معه.

وهذا لم أر له مثيلاً في نطاق واسع إلا في الأقطار الإفريقية خلف الصحراء، وتبيعه هناك نساء ورأيت النساء يبعنه في الأسواق العامة، كما يبعن أيضاً قطعاً مطبوخة غارقة في المرق من جلد البقر، ولم أصدق ذلك عندما رايتها هناك إلى أن أكد لي ذلك المرافقون في تلك الرحلة، وقد ذكرته في كتاب: (قصة سفر في نيجيريا) يشتري أحدهم أو إحداهن من

البائعة شيئاً من هذا الجلد المطبوخ بأن تفتح له قدراً أو ما يشبهه فيه قطع كثيرة معها قليل من المرق الذي طبخت به فيأكلها أو يحملها معه.

وظني أنها ليست من أي مكان من جلود البقر: وإنما هي من أماكن مختارة كأن تكون جلد الرأس أو ما حول الأثداء، ولم أرها تباع مطبوخة ولا حتى نية في أي مكان آخر من العالم خارج إفريقية.

أما رؤوس الغنم فإنها تباع مطبوخة ناضجة في أسواق البلدان غير المتطورة رأيتها هنا مع نساء جالسات يبعنها فذكرت بذلك ما كان موجوداً عندنا في القديم، فقد عهدت وأنا صغير أن نساء لهن دكاكين، ودكان المرأة يكون جزءاً من بيتها يفتح على بيتها من الداخل ويفتح على الشارع، ودكاكينهن كثيرة، ولكنها ليست في أسواق متصلة مجتمعة، كما تكون دكاكين الرجال في بريدة.

تبيع المراة منهن في دكانها رأس الضأن المطبوخ من دون أن يكون معه مرق ولا يبيعه الرجال هذا هو المعروف عندنا.

وقد افتقدت ذلك منذ سنين طويلة و ها هو (سوق شاء منصور) يعيدني إلى فترة الطفولة البعيدة بوجود نساء يبيعن رؤوس الغنم مطبوخة ناضجة.

ووجدتهن يبعن أيضاً قطعاً من الكرش وأغلبها من كروش الغنم ناضجة، وهذا أمر سائر في أسواق بعض البلدان ذكرت ما شاهدته منه في كتب أخرى.

وقد أخبرني الأخ الدكتور غالب بن غايب أن سوق شاه منصور هذا يكون أكثر فاكهة وخضرات بعد أسبوعين بعد أن تنضج الخضرات

والفواكه التي كانت استفاقت بعد برد الشتاء القارص.

أما أنا لقد استمتعت بما رأيته في هذا السوق سواء ببضائعه أو بأناسيه.

وعلى ذكر الأناسي أقول: إنه تبين أن معظم البائعات فيه هن من (المستورات) وهذا تعبير عامي عن عدم الجمال، سببه ظاهر وهو أن أكثرهن من الفقيرات أو ذوات الحاجة، أما المترفات المتنعمات فإنهن لا يبعن فيه.

ومن المميزات الظاهرة في اللباس هنا أن الطواقي البخارية المضلعة موجودة على كثير ممن هم في السوق، ولكن بعدد أقل مما عليه في أوزبكستان التي تعتبر عندهم من اللباس الوطني المميز لهم.

مقهى راحة:

هذا هو اسم المقهاة التي توجهنا إليها بعد أن فرغنا من مشاهدة (سوق شاه منصور) حيث سرنا بعد السوق المذكور مع شارع مشجر أي عليه أشجار خضر على أيمنه والمكتبة الوطنية لم ينبهني إليها منبه من قبل، وإلا لكنت زرتها واطلعت على المخطوطات العربية فيها، وإنْ كان الشيوعيون قد استبعدوا منها الكتب الدينية إلا ما له صلة بالتاريخ أو أسماء الأماكن، ولولا ذلك لكانت هذه البلاد من أغنى البلدان المسلمة بالمخطوطات العربية لأنها كانت مجالاً خصباً للثقافة العربية الإسلامية، وأسهم علماؤها وأدباؤها ولغويوها بالتأليف الوافر باللغة العربية، وحتى في العلوم التجريبية المعروفة في العصور القديمة.

ويقابل مبنى المكتبة الوطنية مبنى البلدية قد طلوه بطلاء أحمر، وهو يقابل أيضاً جهة من حديقة (باغي مركزي) التي تقدم ذكرها.

ومررنا بقصر الرئاسة: رئاسة الدولة وهو مبنى معتاد لا يسترعي الانتباه لولا أن القوم أخبرونا به، و أمامه نافورة معتادة، ليس فيها ما يميزها عن غيرها.

وبعده دخلنا إلى مقهاة اسمها (راحة) وجدت النساء يؤلفن النصف أو أكثر من روادها، وبذلك أمكن تصحيح الصورة التي في ذهننا عن بائعات (سوق شاه منصور) فلاحظت أنهن قريبات في الشكل من نسائنا وأنهن أقرب إليهن من نساء جميع منطقة وسط آسيا هذه.

إلا أنني لاحظت أن كثيرات منهن عليهن علامات نقص التغذية، وذلك معروف السبب لما تعانيه البلاد من تردٍّ اقتصادي، وحتى في العهد الشيوعي كانت الأطعمة الرئيسية متوفرة ورخيصة كالخبز والزيتون، ولكن الفواكه لا تتوفر إلا في الصيف، وحتى العناية الطبية كانت قليلة بل محدودة.

ومررنا بعد أن تركنا مقهاة (راحة) بمنزل رئيس الجمهورية فوقفنا فيه هنيهة تأملـه، وإذا باثنين من رجال الشرطة يأتون إلينا ويسألون عن الغرض من وقوفنا فأخبرهم الأخ الدكتور غالب بن غايب بأمرنا وأننا ضيوف على هذه البلاد، وهذا صحيح فقد تبين لنا أنهم اعتبرونا ضيوفاً على الدولة، ودفعوا عنا أجرة الفندق الذي هو حكومي إلى جانب الأشياء الأخرى التي تشملها الضيافة، ومنها السيارات الحكومية التي نتجول بها.

عشاء الوزارة:

عدنا إلى فندقنا (فندق تاجيكستان) فكان لنا موعد مع مضيفينا الإخوة الطاجيكيين الذين على رأسهم وزير الشئون الدينية.... ونائب مفتي تاجيكستان، وحضر أيضاً مدير الجامعة الإسلامية وهي جامعة الإمام الترمذي الإسلامية.

فكان العشاء مناسبة طيبة للتذاكر معهم في الماضي التاريخي لهذه البلاد، وبخاصة في عصور ازدهار الثقافة العربية فيها، وكان من بين الحاضرين أخونا الدكتور غالب غايب وهو مختص بالتاريخ كما ذكرت.

كان بدء مأدبة العشاء في السابعة والنصف في مطعم فندقنا لأنه حكومي، وفيه استعداد جيد لإقامة مثل هذه المأدبة.

كان أول ما قدموه عدا المقدمات الموجودة على المائدة بمثابة المقبلات الحساء الذي اسميته بالشربة التركستانية لأنني رأيت الناس في بلاد ما وراء النهر إلى آخر المعمور من الأرض في سبيريا يقدمونها قبل الوجبة، وتكون دسمة فيها قطع صغيرة من اللحم والشحم، وذلك من أجل مقاومة البرد في بلادهم ثم صار ذلك عادة لهم.

وحساء أهل تاجيكستان يختلف بعض الشيء عن حساء الذين نسميهم في بلادنا بالبخاريين وهم أقوام كثيرة بعضهم بلادهم بعيدة عن بخارى، مدينة الإمام البخاري.

وقد ألحت علينا الذبان، حتى في هذه الغرفة قليلة الإضاءة من مطعم

الفندق، وذلك شيء كنت عرفته من منطقة وراء النهر في الصيف لأن الذباب يتكاثر فيها حتى تصل كثرته إلى حد غير متصور، ويظل يقع على الطعام والفاكهة، وكل شيء يصل إليه وفيه رائحة تجذبه، ولا شك أن السبب في ذلك أن عمره فيها قصير فما أن يحل البرد حتى يقضي عليه فربما كان يريد بتكاثره في الصيف التعويض عما كان عليه في الشتاء.

وقد لقينا عنتاً منه في وادي فرغانة عندما زرنها لأول مرة في عام ١٤١٠هـ واصبت بإسهال شديد نتيجة كثرة الذباب ووجوده في أكثر الأماكن، وبخاصة أننا كنا ندعى إلى مآدب وموائد فاكهة ولا ندري عن حالة الطعام والفاكهة قبل أن تقدم إلينا.

وما رأيت أكثر إلحاحاً من ذبان هذه المنطقة إلا الذبان في أستراليا التي لا يفوقها في الكثرة والإلحاح والوجود في كل مكان من القارة حتى ما كان منها بعيداً عن المدن، أي ذباب في مكان آخر من العالم.

وقد علل بعض الأستراليين ذلك بأنه لوجود مزارع تربية المواشي من الأبقار والأغنام، وكثرتها في كل أنحاء القارة.

ولكن ماذا عن وجود الذبان في أماكن نائية شبيهة بالصحراوية في أستراليا بعيدة بعض البعد عن مزارع تربية الماشية.؟

وقد رايت من كثرة ذبان أستراليا وإلحاحها ما أتعبني وذكرت ذلك في الكتب التي ألفتها عن أستراليا.

ونعود إلى الجد في الموضوع فنقول: إن أخانا الدكتور غالب بن غايب

تصدر الكلام حول تاريخ هذه البلاد ولم يعرفه الباقون مع أنهم من الموظفين المتعلمين، بل من صفوة المجتمع ذكر ما نقلته في المقدمة من كون أصل أسم (تاجيكستان) هو طيء استان المنسوبة إلى قبيلة طيء العربية.

وذكر لنا الجميع أن مدينة (دوشنبه) سميت بهذا الاسم في أوائل القرن السابع عشر الميلادي لأنها أنشئت في مكان كان يقام فيه سوق للقرويين ينعقد كل يوم اثنين يسمى (دوشنبه) بمعنى يوم الاثنين وترجمتها الحرفية: (الأحد الثاني).

وتطرق الحديث إلى معاداة الشيوعيين للكتب الثقافية الإسلامية، وكيف كانوا يحرقونها، ولذلك كان بعض الناس يدفنون ما لديهم منها لئلا تصل إليه أيدي الشيوعيين، قالوا: وقد تلفت من ذلك كتب كثيرة لأن الناس كانوا يدفنونها يظنون أن الفرج قريب لإخراجها.

وقد أخبرتهم ببعض ما قاله لي أهل خوارزم وهو أن جماعة كانت معهم كتب محمولة على أربعة أباعر، فعرفوا أن الشيوعيين علموا بها فدفنوها في الصحراء على أمل أن يعودوا إليها، فضل منهم واحد والثاني نسي موضعها، لأنه لم يجعل له علامة فارقة لشدة خوفه وملاحقة الشيوعيين له، فضاعت تلك الكتب.

هذا وقد استمر جلوسنا على هذه المأدبة وملحقاتها طويلاً في أحاديث مفيدة لي.

يوم الجمعة: ١٤٢٢/٣/١٦هـ.

مغادرة تاجيكستان:

هذا اليوم هو آخر أيامنا في رحلتنا هذه إلى تاجيكستان، إذْ سنغادرها في صباحه إلى جارتها قازاقستان.

في الخامسة والنصف صباحاً وقبل طلوع الشمس كان الوزير وبقية المرافقين قد حضروا للفندق ليصحبونا إلى المطار عند مغادرة البلاد.

فانطلق موكبنا الذي فيه أكثر من سيارة مع شوارع دوشنبه التي رايناهم رشوا بعض الشوارع في قلبها بالماء من أجل مكافحة ما قد يكون فيها من غبار، ولم أر فيها غباراً.

ومع ذلك رأيت كناسات الشوارع وهن النساء العاملات في كنس الشوارع في هذه الساعة المبكرة من الصباح ومعهن مكانسهن الطويلة الأيدي وهي العيدان التي تمسك بها وهن يعملن عملاً روتينياً قديماً ربما كان لم يتغير منذ أزمان طويلة.

ولم أر عندهم ما عندنا من السيارات التي أعدت لرشف الغبار والنفايات الخفيفة من الشوارع.

والشوارع شبيهة بالخالية في هذه الساعة المبكرة من النهار.

وصلنا المطار ورغم وجود الوزير وبعض كبار القوم معنا فإن عدم المرونة في الإجراءات المتعلقة بالسفر هي السائدة، وذلك شيء ورثوه من

الإدارة الشيوعية السابقة، التي هي روسية في معظمها.

وعلى ذكر الروس أقول: إنني رأيت في المطار جنوداً من الروس، بل ومجندات منهم.

وقد جلسنا في مكانين قبل أن تصل جوازاتنا إلى إدارة الجوازات في المطار التي أبقتها عندهم نحو عشر دقائق.

ثم ودعنا وزير الشئون الدينية والإخوة الآخرين، وشكرناهم على حسن الاستقبال وكرم الضيافة وملازمتنا طيلة وجودنا في تاجيكستان.

وبعد الخروج من مبنى المطار إلى الطائرة فيما يكون مثله في المطارات العالمية أوقفونا في حوش من أجل أن يتأكدوا منا نحن الضيوف الأجانب، ومن أجل أن يرسلوا معنا مضيفة أرضية إلى الطائرة سيراً على الأقدام لأن موقف الطائرة قريب.

ومع ذلك كان مع الركاب ضابط وموظفون يراقبون الركاب، ويفتشون حقائبهم اليدوية عند سلم الطائرة.

وعوفينا من ذلك بسبب جوازي (الدبلوماسي).

ثم غادرنا مطار دوشنبه إلى (الما أتا) في قازاقستان في السابعة من هذا الصباح.

والحديث عن سفرنا إلى قازاقستان وعن الجولة فيها في كتاب آخر عنوانه: (إلى قازاقستان بعد تاجيكستان والداغستان) والله المستعان.

ملخص زيارة وفد رابطة العالم الإسلامي إلى تاجيكستان:

قام وفدنا برئاستي، وعضوية الأستاذ رحمة الله عناية الله مدير مكتب الأمين العام في الرابطة بزيارة عمل واستطلاع لأحوال المسلمين ومشاريعهم في جمهورية تاجيكستان في الفترة ما بين ٧-٩ ربيع الأول عام ١٤٢٢هـ وقد تضمن تقريره عن زيارة المدن والمؤسسات التالية:

أولاً: مدينة دوشنبه:

يعود تاريخ دوشنبه عاصمة جمهورية تاجيكستان إلى أوائل عام ١٦٧٦هـ، حيث أشارت المصادر التاريخية أنها بدأت سوقاً قروياً أسبوعياً، يأتي إليها المزارعون والقرويون بمختالف منتجاتهم، ويتسوقون فيها كل يوم اثنين، وقد نما هذا السوق الأسبوعي مع مرور الزمن، وبخاصة أن أراضيها سهل منبسط بين الجبال قريب من مدينة حصار، وفي عام ١٩٠٧م، اتخذها أمير حصار مقراً صيفياً له، وفي عام ١٩٢٠م، أقام فيها الأمير عالم خان أمير بخارى واشترك مع ثوار البصمه جي ضد الشيوعيين، ومع هزيمة الثوار هرب منها إلى أفغانستان عام ١٩٢١م÷، و بعد ذلك أصبحت مقراً لإدارة بخارى الشرقية.

وعندما تأسست جمهورية تاجيكستان السوفيتية الاشتراكية الذاتية الحكم في ١٩٢٤/١٠/٢٧م، أصبحت دوشنبه عاصمة لها، ولما أعلن عن تأسيس جمهورية تاجيكستان السوفيتية الأشتراكية ضمن جمهوريات الاتحاد السوفيتي في ١٩٢٩/١٠/١٦م، سميت العاصمة دوشنبه باسم ستالين آباد، إلى أن أعيد إليها اسمها الأصيل دوشنبه في عام ١٩٦١م.

ويبلغ عدد سكان دوشنبه نحو ٦٩٠,١٥٠ نسمة بموجب تقديرات عام ٢٠٠١م، وهم بنسبة ٥٥% من ا لتاجيك و٢٣% من الأوزبك و١١% من الروس والألمان، والكوريين وغيرهم، وفي الوقت الحاضر يوجد في دوشنبه أكثر من مائة مسجد، وعشرة جوامع لصلاة الجمعة بالإضافة إلى الجامعة الإسلامية باسم الإمام الترمذي.

١- في صباح يوم الأربعاء ربيع الأول ١٤٢٢هـ اجتمع وفد رابطة العالم الإسلامي بفضيلة الشيخ أمان الله نعمت زاده مفتي جمهورية تاجيكستان، وذلك في معية معالي الأستاذ سعيد أحمد وزير لجنة شؤون الأديان التابع لمجلس الوزراء التاجيكي، والأستاذ حسين موسى زاده نائب مفتي تاجيكستان، وتم الإجتماع في مكتب دار الإفتاء في المسجد المركزي في دوشنبه.

٢- وقد رحب فضيلته بوفد الرابطة، وتمنى له زيارة موفقة وذكر أن المسلمين يتمتعون بالحرية في أمورهم الدينية، وأن عدد المساجد بلغ أكثر من ثلاثة آلاف مسجد، و٢٥٠ جامعاً، و٢٠ مدرسة إسلامية، وجامعة إسلامية واحدة في تاجيكستان في الوقت الحاضر.

٣- ونظراً لانتشار المساجد فالمفتي له نائبان، أحدهما الشيخ حسين موسى زاده في مدينة خجنده، والشيخ سعيد جان محمود في ختلان، كما ذكر أن عدداً من المساجد يحتاج إلى الدعم والمساعدة لاستكمال الترميم والإنشاء، وكذلك المسلمون يحتاجون إلى الكتب الإسلامية من مصاحف وتفسير، وبخاصة تفسير الجلالين.

وتحدث الوزير الأستاذ سعيد أحمدوف أيضاً، معرباً عن شكره

والمسلمين على ما يلقاه الحجاج التاجيكيون من رعاية واهتمام من حكومة خادم الحرمين الشريفين لأداء مناسك الحج والعمرة، وعلى رعايتها المستمرة للأراضي المقدسة وبذل الجهود في تسهيل سبل الحج، وما تقوم به الرابطة من أعمال لخدمة الإسلام والمسلمين في أنحاء العالم، وقد شكرناهما على ما لقيه الوفد من حسن استقبال وضيافة، كما أخبرناهم عن تقديرنا للمعلومات التي قدمت عن النشاط الإسلامي في هذه البلاد، التي كان لعلمائها السابقين جهود كبيرة في خدمة الثقافة الإسلامية، وأعربنا لهم عن استعداد الرابطة للتعاون معهم لما فيه خدمة العمل الإسلامي.

٤- **جامعة الإمام الترمذي الإسلامية**: ويقع مقرها الذي يتكون من ثلاثة طوابق بجوار الجامع المركزي، وقد تفقد وفد الرابطة ومرافقوه مع مدير الجامعة الإسلامية الدكتور عبدالجلال علي زاده بعض الفصول الدراسية والمكتبة، ثم اجتمع إلى المدرسين والطلاب في قاعة الاجتماعات، حيث قدم معالي الوزير الدكتور سعيد أحمدوف وفد الرابطة للحضور، ثم القى الدكتور عبدالجلال علي زاده كلمة ترحيبية بالوفد، تضمنت الإشارة إلى تأسيس الجامعة الإسلامية في عام ١٩٩٠م، بمبادرة من لجنة شؤون الأديان، وعدد طلابها حالياً ١٥٠٠ طالب، وعدد مدرسيها ١٢٠ مدرساً وموظفاً، وإن ميزانيتها تقوم على التبرعات والمساعدات، وهي تعاني نقصاً كبيراً بسبب قلة الموارد الناتجة عن الوضع الاقتصادي المتدهور في البلاد، ثم أعرب عن شكره ومنسوبي الجامعة الإسلامية على الهدية القيمة التي أهديت إليهم من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز- رحمه الله- وهي

مجموعة كبيرة من الكتب الإسلامية، يرجع إليها المدرسون والطلاب في بحوثهم ودراساتهم، وأنهى حديثه بأن الجامعة الإسلامية عضو في اتحاد الجامعات الإسلامية الذي مقره الرباط بالمغرب، ولها علاقات علمية وتعاونية مع الجامعة الإسلامية العالمية في باكستان، وجامعة الأزهر في القاهرة، وهم يتطلعون إلى التعاون مع المؤسسات الإسلامية، وعلى رأسها رابطة العالم الإسلمي، ويأملون في تبادل الخبرات معها، ودعم عجز الميزانية، وبخاصة في رواتب المدرسين وتزويدهم بالكتب الإسلامية.

ثم ألقيت كلمة في الحفل، شكرتهم فيها على الترحيبه والكلمات، وأشرت إلى الماضي المجيد لتاجيكستان التي هي جزء من بلاد ما وراء النهر، حيث كان العرب ياتون إليها لدراسة علوم التفسير، والحديث واللغة العربية، ويتلقون الحديث من الإمام الترمذي، وإن شعب تاجيكستان اليوم يبدو كالذي تعافى من مرض طويل ويقضي فترة النقاهة لاستعادة عافيته، وسيكون ذلك على أيدي طلاب العلم وعلماء هذه الديار ذات التاريخ العريق في الثقافة الإسلامية، وإن وجود هذا العدد الكبير من العلماء، أمثال فضيلة مفتي تاجيكستان وطلاب هذه الجامعة الإسلامية الفتية، بشائر تدل على مستقبل إسلامي باهر، وإن رابطة العالم الإسلامي وهي مؤسسة إسلامية شعبية عالمية يسرها التعاون معكم، في دعم مسيرتكم العلمية الإسلامية، بما يمكنها من سدّ بعض إحتياج هذه الجامعة الإسلامية، وتزويدكم بما لديها من كتب ودوريات إسلامية.

ثم عقب معالي الوزير الدكتور سعيد أحمدوف على كلمتي بالشكر

والتقدير على المشاعر الأخوية النبيلة نحو إخوانه مسلمي تاجيكستان، وإن التعاون واجب إسلامي، فالمسلمون أصحاب عقيدة واحدة، وإن الرابطة التي كان لها السبق في تقديم العون لإخوانها المسلمين في تاجيكستان منذ الوهلة الأولى لاستقلالها، لا تزال تقدم العون سنوياً في موسم الحج، وتمنى تكرار الزيارة لتوثيق العلاقات الأخوية بين الطرفين.

٥- **مسجد شاه منصور**: تم إعادة بناء هذا المسجد، ولم يبق إلا الرواق الخارجي وغرف الإمام والمكتب، وكذلك استكمال أماكن الوضوء والحمامات، وهو مسجد متوسط الحجم، شرع في بنائه منذ خمسة أعوام ولكن لظروف المسليمن الاقتصادية تعثر الانتهاء منه، كما يقول إمامه الشيخ عبدالبصير سعيدوف، وفي نهاية الزيارة له قدم وفدنا مساعدة رمزية من الرابطة قدرها ثلاثة آلاف دولار للإسهام في نفقته.

٦- **مسجد أبي بكر الصديق رضي الله عنه في جنوب مدينة دوشنبه**: وهو مسجد قديم تم ترميمه عام ١٩٩٢م، ولكن احترق بسبب صاعقة في عام ٢٠٠٠م، كما يقول عنه إمامه الشيخ حكمت الله بن إسحاق، واكتمل الآن إعادة بناء الرواق الداخلي له، ولكن لا يزال العمل جارياً في بوابة المسجد وبعض أفنيته، كما أن غرف الإمام ومكتبه لا تزال تحتاج إلى الترميم والإصلاح، وقدم الوفد للمسجد مساعدة عاجلة من الرابطة.

ثانياً: مدينة حصار:

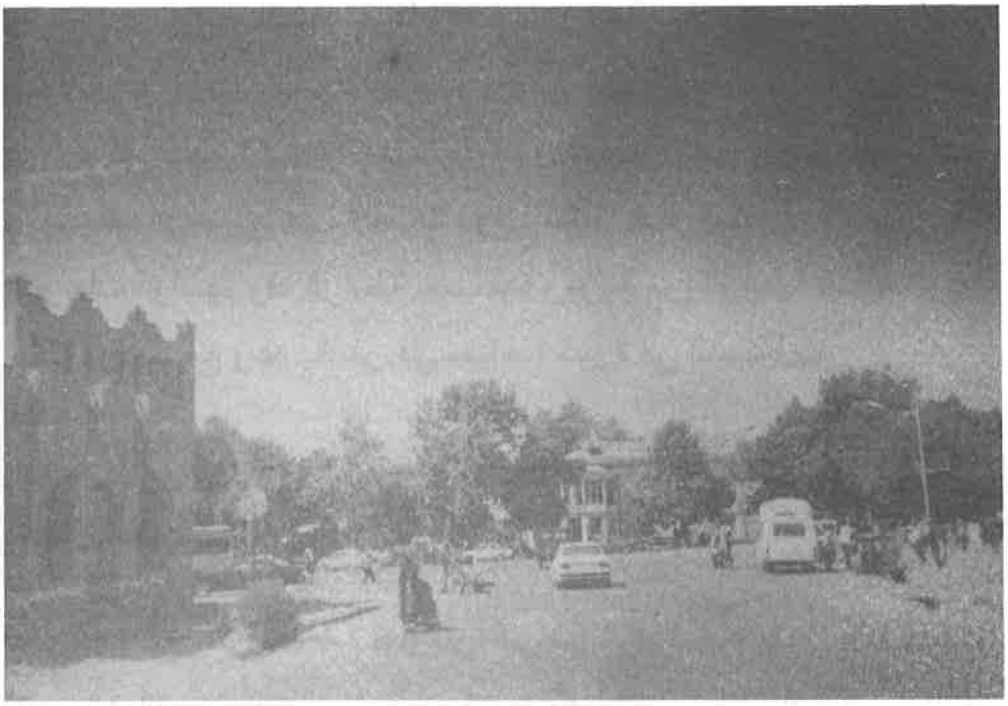

وسط مدينة حصار

بلدة صغيرة يقدر سكانها بنحو ٣٥ ألف نسمة في الوقت الحاضر، وقد كانت مدينة مزدهرة في العهد الإسلامي، كما تشهد بذلك العديد من الآثار الإسلامية فيها، ومن مساجدها القديمة مسجد جشمه ماهيان.

ويبني المسلمون الآن مسجداً جديداً كبيراً فيها مساحته ٥٠×٥٠ متراً عند مدخل البلدة من ناحية دوشنبه، حيث منحتهم سلطات البلدية أرضاً مساحتها هكتاران، كما يقول الشيخ إسماعيل بن عبدالله إمام وخطيب المسجد، الذي سموه مسجد محمد صلى الله عليه وسلم.

والمسجد من ثلاثة أدوار ويضم بالإضافة إلى المصلى الرئيسي الذي يضم شرفة خاصة للنساء غرفاً وفصولاً دراسية، وقد اكتمل معظم البناء، ولم يبق إلا التمديدات والتشطيب، و أنفق في البناء أكثر من مائة ألف دولار، كما يفيد ا لأستاذ عبدالحكيم بن عثمان وهو من وجهاء البلدة والمساهم الرئيسي في النفقات، وقد تعثر هذا المشروع بسبب قلة التبرعات، وأسهم وفد الرابطة بمساعدة رمزية من الرابطة قدرها أربعة آلاف دولار، مع وعد بالنظر في مساعدة كبيرة في المستقبل.

ثالثاً: كافرنهان:

بلدة تقع على بعد ٢٨ كيلومتراً في شرق دوشنبه، يقدر عدد سكانها بنحو ٥٦ ألف نسمة، وهي موطن الشيخ أكبر توره جان زاده، الذي يشغل في الوقت الحاضر منصب النائب الأول لرئيس الوزراء لحكومة تاجيكستان لشؤون العلاقات من رابطة الدول المستقلة منذ عودته إلى البلاد في فبراير عام ١٩٩٨م، وقد تخرج المذكور من كلية الشريعة بالجامعة الأردنية في عام ١٩٨٧م، ثم أصبح قاضي جمهورية تاجيكستان في عام ١٩٨٨م، وخلال الحروب الأهلية التي اشتعلت في تاجيكستان كان نائب رئيس التحالف الإسلامي الديمقراطي.

وقد اصطحب الشيخ أكبر توره جان زاده وفد الرابطة بنفسه إلى بلدة كافرنهان، التي تعتبر أحد المعاقل الرئيسية، التي يسيطر عليها المسلمون، وأدى الجميع صلاة الظهر في جامع كافرنهان الرئيسي، وهو مسجد حديث

البناء، مكتمل لا يحتاج إلاَّ إلى سجاد.

كما زار مستشفى البلدة، الذي يديره أطباء، وفيه طبيبات وممرضات من النساء، لأن التقديرات تشير إلى أن أكثر من عشرة آلاف امرأة فقدن أزواجهن خلال الحرب الأهلية، والمستشفى متهالك، ينقصه الكثير من الاجهزة الطبية، وفي مقدمتها أجهزة الأشعة والتحاليل الطبية، علاوة على أن الأسرة كلها قديمة.

وفي الحديث الخاص مع وفد الرابطة، عبر نائب رئيس الوزراء عن شكره العميق لحكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز لاهتمامها بالمسلمين، كما أعرب عن شكره لكل المساعدات التي قدمتها الرابطة وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية لمسلمي تاجيكستان، وأشار إلى الوضع غير مستتب لصالح الاتجاه الإسلامي، فالحكومة لا تزال تعرقل العمل الإسلامي، حيث إنها لا تزال تمنع مكبرات الصوت في المساجد في المناطق التي تخضع لسيطرتها، كما أنها لا تشجع وصول المساعدات الإسلامية إلى المشروعات الإسلامية، ومن ذلك عدم تنفيذ كامل إتفاق السلام، الذي وقع معها لأ ن الشيوعيين لا يزالون يسيطرون على زمام الحكم، والتمس من الرابطة تقديم بعض المنح الدراسية لأبناء المسلمين، وتزويد المسجد بالسجاد والمساعدة في توفير بعض الأجهزة الطبية لمستشفى بلدة كافرنهان.

وفي نهاية الزيارة قدم الوفد مساعدة من الرابطة للمستشفى.

رابعاً: مدينة خجنده:

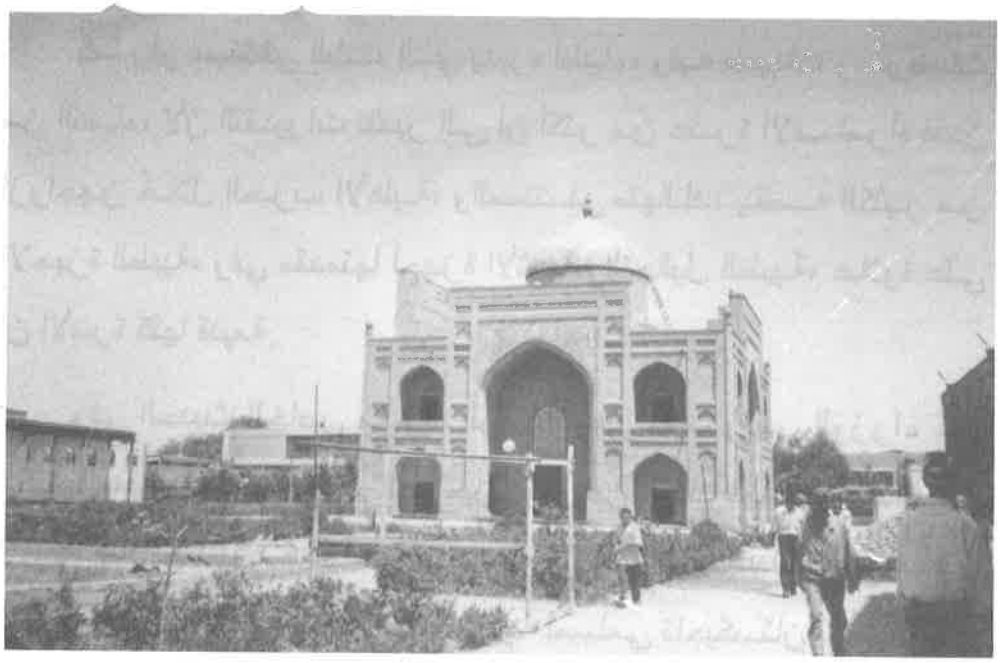

قبة مصلح الدين النوري قرب جامع مصلح الدين في خوجنده

يعود تاريخها إلى إسكندر المقدوني، حيث يذكر أنها بنيت في عهده وسميت إسكندرية اسخايا (Alexandria Eskhata)، وازدهرت في العهد الإسلامي، حيث ينسب إليها جماعة وافرة من أهل العلم منهم: أبو عمران موسى بن عبدالله المؤدب الخجندي، احتلها الروس في عام ١٨٦٦م، وسماها الشيوعيون لينين آباد في عام ١٩٣٦م، ثم أعيدت تسميتها خجند في عام ١٩٩٢م، وتقع على نهر سرداريا على الطرف الشرقي من وادي فرغانة، ويقدر سكانها ٢٠٥ آلاف نسمة في تقديرات عام ٢٠٠١م، وهي ثانية المدن في تاجيكستان بها ٢٦ مسجداً، و٤ جوامع كبيرة، وبها مدرسة إسلامية.

وصل إليها وفد الرابطة براً من طشقند، وكان في استقباله في حدود

تاجيكستان البرية كل من الأستاذ محكم كمالوف ممثل لجنة شؤون الأديان التابعة لمجلس الوزراء التاجيكي، والأستاذ محمد عثمان نائر إمام مسجد مصلح الدين، ممثلاً عن دار الإفتاء في خجند، وقام وفد الرابطة بصحبتهما بزيارة ما يلي:

١- جامع مصلح الدين النوري، وهو مسجد كبير مهم، وقد تم تجديد المصلى الرئيسي بمساعدة ورعاية من الوالي رحمة الله بن قاسم في عام ١٩٩٩م، كما تشير إليه لوحة معلقة مكتوبة باللغة التاجيكية، ولا تزال الغرف التي على الجانبين والمصلى الصغير على قدمه، وبعضها يحتاج إلى ترميم، وقدم الوفد له من الرابطة مساعدة رمزية.

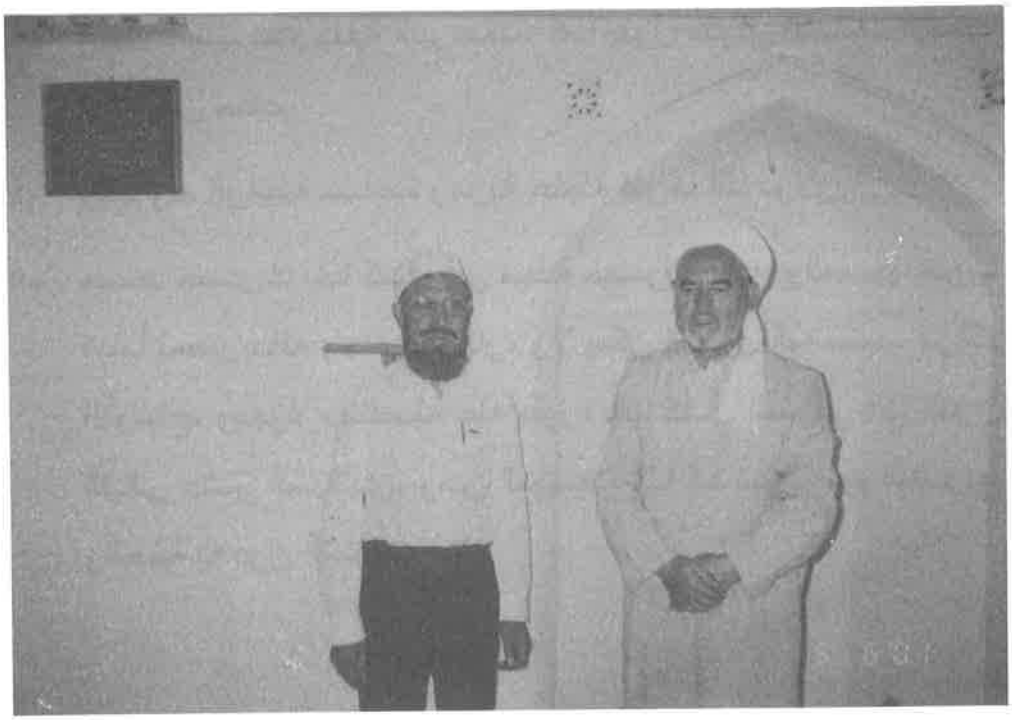

صورة مع إمام جامع مصلح الدين في خوجنده في محراب المسجد القديم

٢- مدرسة مصلح الدين الإسلامية تقع بجوار المسجد من الخارج أمام المحراب، ويبدو أن المبنى هو من أوقاف المسجد من دورين، ويقول عارف جان بن حامد نائب مدير المدرسة: إن عدد الطلاب ٦٠ طالباً، والمدرسون عددهم ١٠، ومدة الدراسة أربعة أعوام، وتمثل المرحلة المتوسطة، وقد بدأت الدراسة فيها في عام١٩٩٢م، وقد زار الوفد بعض الفصول الدراسية، ولم يتمكن من الاجتماع إلى المدرسين بسبب الإجازة.

٣- مسجد خوجه روشاني في محلة تك شاه توت، وهو مسجد قديم يعملون على ترميمه، وقد تم إصلاح المصلى قليلاً، ولكن تعثر العمل بسبب عدم كفاية التبرعات، كما يقول متولي المسجد الأستاذ عالم جان حامد.

٤- وقدم وفد الرابطة مساعدة رمزية عاجلة قدرها ألفا دولار.

٥- مسجد حضرت بابا كمال في محلة حضرتي بابا، والمسجد خرب تماماً بعض سقفه وجداره منهار، ولا يمكن الدخول إليه بسبب تراكم الأوساخ، وبجواره منفصلة عنه مقبرة بابا كمال المتوفي في القرن الثاني عشر الميلادي، ومن المؤسف أنه قد تم ترميم الضريح والعناية به دون المسجد.

التوصيات:

يتضح أن الوضع الإسلامي يعاني بعض المضايقات من الحكومة الحالية، وتدخلها حيث لا يزال الشيوعيون يسيطرون على الجيش والبرلمان، ومع أن القوى الإسلامية والنظام الحاكم يتفقان على علمانية الدولة، إلا أنهما يختلفان في التفسير، فأنصار الرئيس إمام علي رحمانوف يرون أن العلمانية هي محاربة الاتجاه الديني، ويعتبرون الجماعات المسلمة مصدر خطر، بينما القوى الإسلامية وأغلبية المواطنين بمن فيهم بعض موظفي الحكومة، الذين يعتبرون أنفسهم مسلمين، يرون أن العلمانية هي التي تكون الدولة فيها لادينية.

ومما زاد في غضب القوى الإسلامية أن حكومة تاجيكستان بعد أن وقعت اتفاقية السلام مع التحالف الإسلامي الديمقراطي استصدرت قانوناً من البرلمان يمنع تشكيل الأحزاب السياسية ذات الاتجاه الديني في ٢٣ مايو ١٩٩٨م، وعندما أعترض التحالف الإسلامي الديمقراطي بشدة على القرار أدخل البرلمان تعديلاً يؤكد على أن الدولة علمانية، ولكن يمكن أن يكون المواطنون أعضاء في أحزاب قامت على قواعد دينية في ٢٦ سبتمبر ١٩٩٩م، والهدف هو الحيلولة دون وصول الإسلاميين إلى الحكم، وقد أدى ذلك إلى تباين العمل الإسلامي في المناطق، فالمناطق التي تخضع للإسلاميين، كما في كافرنهان حيث الشيخ أكبر توره جان زاده فالأذان يرتفع من مكبرات الصوت، وفي دوشنبه، فإن مكبرات الصوت محظورة في المساجد، ولكن في جميع الأحوال فإن إقبال المسلمين على المساجد ملاحظ ومشهود، وعلى ضوء المشاهدات الشخصية واستطلاع

الرأي فإن وفد ا لرابطة يوصي بما يلي:

١- تعزيز العلاقات الأخوية مع الجهات الإسلامية الرسمية، وإيجاد قنوات للتأثير عليها وممارسة الضغوط المعنوية بغية تشجيعها على تحسين خدماتها، وزيادة نشاطاتها في خدمة الإسلام والمسلمين.

٢- تزويد الجهات الإسلامية بالمصاحف والكتب الإسلامية ودوريات الرابطة المتعددة، بشكل مستمر، والعمل على ربطهم إعلامياً وثقافياً بالمملكة العربية السعودية والرابطة، مع ملاحظة أن المذهب السائد هناك هو المذهب الحنفي، ومحاولة الباطنيين المستميتة لبعث مذهبهم الضال هناك، لأنهم يشتركون في الجنس واللغة الفارسية، ولكنهم يختلفون عنهم بالتمسك بعقيدة أهل السنة والجماعة.

٣- الكتابة إلى مقام خادم الحرمين الشريفين حفظه الله برجاء التبرع ببناء مبنى لجامعة الإمام الترمذي الإسلامية، وتقديمه هدية إلى المسلمين في تاجيكستان، وبخاصة أن الأوضاع الاقتصادية سيئة على العموم، وفي ذلك تعزيز لواقع العمل الإسلامي ودعم كريم للثقافة والتعليم على الصعيدين الحكومي والشعبي.

٤- تعيين وإرسال مدرسين للغة العربية والعلوم الإسلامية من خريجي إحدى الجامعات الإسلامية في المملكة، للعمل في جامعة الإمام الترمذي الإسلامية في دوشنبه.

٥- تخصيص خمس منح دراسية لأبناء تاجيكستان لدراسة العلوم الإسلامية واللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٦- تكليف هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بفتح مكتب لها في تاجيكستان، والعمل على تقديم المساعدات الإنسانية إلى اللاجئين التاجيك العائدين إلى مناطقهم، ورعاية دور الأيتام والمستشفيات والإسهام في إنقاذ الفقراء من عمليات التنصير.

٧- تقديم مبلغ مائة ألف ريال لتأمين أجهزة الأشعة والتحاليل الطبية لمستشفى كافرنهان.

٨- تقديم مبلغ مائة ألف ريال مساعدة من الرابطة لاستكمال بناء مسجد محمد صلى الله عليه وسلم في بلدة حصار.

٩- تقديم مبلغ خمسين ألف ريال مساعدة من الرابطة لتأمين سجاد لمسجد كافرنهان المركزي.

١٠- تقديم مبلغ خمسين ألف ريال مساعدة من الرابطة لاستكمال ترميم مسجد خوجه روشاني في تك شاه توت في خجند.

١١- تقديم مبلغ خمسين ألف ريال مساعدة من الرابطة لاستكمال ترميم مسجد أبي بكر الصديق في دوشنبه.

١٢- تقديم مبلغ خمسين ألف ريال مساعدة من الرابطة لاستكمال ترميم مسجد شاه منصور في دوشنبه.

وبهذه التوصيات إنتهى تقرير وفد الرابطة عن زيارته للمسلمين في جمهورية تاجيكستان.

وبالله التوفيق..

العناوين:

١	جامعة الإمام الترمذي الإسلامية Imam Termizi University	58 Shadmani 734001 Dushanbe- Tajikistan Tel &Fax: (00992-372)-(219688)
٢	الإدارة الدينية لمسلمي جمهورية تاجيكستان- دار الإفتاء المركز الإسلامي لجمهورية تاجيكستان Islamic Centre of Tajikistan	58 Shadmani 734001 Dushanbe- Tajikistan Tel &Fax: (00992-372)-(211640)
٣	الإدارة الدينية لمسلمي ولاية الصغد الجامع المركزي مسجد الشيخ مصلح الدين النوري	Department of Soghud Region Panjshanbe Square- Tajikistan Tel: (000992-34220 43570) Fax: (0092- 3422)- (64457)
٤	الشيخ حسين موسى زاده نائب المفتي لولاية الصغد في خجند	تلفون المنزل: (٠٠٩٩٢- ٣٤٢٢- ٢٣٧٨٥)
٥	معالي الوزير سعيد أحمدوف رئيس لجنة شؤون الأديان التابعة لمجلس الوزراء التاجيكي **State Committee for Religious Affairs**	Government of Tajikistan Rudaki Street 80 Dushanbe-Tajikistan Tel: (0092- 372) 251 0090, 233366, 214065 Fax: (0092- 362) 216005

٦ معالي الحاج أكبر توره جان زاده
النائب الأول لرئيس الوزراء

Haji Akbar Tura Jan Zade
First Deputy prime Minister
Government of Tajkistan
80 Rudaki Street 734023
Dushanbe- Tajikistan
Tel: 00992- 372) 210669,
215563, 212678

الفهرس

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف ٥
مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات ١٥
المقدمة ٢١
جمهورية تاجيكستان ٢٣
الموقع والجغرافيا ٢٥
الاقتصاد والثروة ٢٦
السكان ٢٧
حكومة تاجيكستان ٢٨
من هم التاجيك ٢٩
التاريخ ٣٣
الإسلام والمسلمون في تاجيكستان ٣٦
على الحدود ٤٣
على أرض تاجيكستان ٤٦
قرية بستان ٤٨
قرية هَمْرَ آباد ٥١
هذه خجندة ٥١
وسط المدينة ٥٤
في الإدارة الدينية ٥٥
مدرسة مصلح الدين الإسلامية ٦٠
جولة في خوجنده ٦٩
قلعة خوجنده ٧١
محلة ملك التوت ٧٢

حي حضرتي بابا ٧٤
قبل مغادرة خوجنده ٧٨
مغادرة خوجنده ٨٩
من خوجندة إلى دوشنبه ٩٠
في مطار دوشنبه ٩٣
مدينة دوشنبه ٩٤
عشاء دوشنبه ٩٩
الاجتماع بنائب رئيس مجلس الوزراء ١٠٢
ووزير الشئون الدينية ١٠٣
جامعة الإمام الترمذي ١٠٣
احتفال الجامعة الإسلامية ١٠٤
كلمتي في الاحتفال ١٠٨
الجامع الكبير ١١١
محلة الملك منصور ١١٣
مطعم زجاج الملك ١١٦
حديقة ورزاب العلمية ١١٧
العودة إلى دوشنبه ١٢٠
إلى مدينة حصار ١٢٠
مدينة حصار ١٢٥
مأدبة الأسخياء ١٣٠
إلى بلدة كافرنهان ١٣٤
تُرك أباد ١٣٧
المسجد الكبير ١٣٨
مبنى المعهد الديني ١٤١

مدينة كافرنهان ١٤٦
نهر كافرنهان ١٤٧
جولة العصر ١٤٩
ميدان إسماعيل ساماني ١٥٢
المجلس النيابي ١٥٤
تمثال الكاتب ١٥٦
شارع أحمد دانش ١٥٩
سوق الملك منصور ١٥٩
مقهى راحة ١٦٣
عشاء الوزارة ١٦٥
مغادرة تاجيكستان ١٦٨
ملخص زيارة وفد رابطة العالم الإسلامي إلى تاجكستان ١٧٠
أولاً: مدينة دوشنبه ١٧٠
ثانياً: مدينة حصار ١٧٥
ثالثاً: كافرنهان ١٧٦
رابعاً: مدينة خجنده ١٧٨
التوصيات ١٨١
الفهرس ١٨٧

مطبعة النرجس التجارية
NARJIS PRINTING PRESS
تلفون: ٢٣١٦٦٥٢ - فاكس: ٢٣١٦٨٦٦
E-mail: narjiscpp@yahoo.com

كتب مخطوطة في الرحلات للمؤلف

١- رحلات في البيت: رحلات داخل المملكة العربية السعودية.
٢- جولة في جزائر البحر الأبيض المتوسط.
٣- حديث المؤتمرات (الخارجية).
٤- جولة في جزائر المحيط الأطلسي.
٥- مؤتمرات إسلامية حضرتها.
٦- رحلة المسافات الطويلة.
٧- حول العالم في خط متعرج.
٨- الإشراف على أطراف من المشرق العربي.

الرحلات الإفريقية

٩- الإشراف على أطراف من المغرب العربي.
١٠- العودة إلى غرب إفريقية.
١١- العودة إلى المغرب الأقصى، بين الصحراء والأرض الخضراء.

رحلات في القارة الأوروبية

١٢- التعليق على السفر إلى أقطار البلطيق.
١٣- من كوبنهاجن إلى كييف مروراً بباريس.
١٤- رحلة الشمال.
١٥- خلال أوكرانيا بحثاً عن المسلمين.
١٦- زيارة لإيطاليا وحديث في شؤون المسلمين.
١٧- تجوال في بلاد البرتغال.
١٨- رحلة الأندلس.
١٩- زيارات خاطفة لمدن أوروبية مختلفة.
٢٠ - العودة إلى داغستان.

الرحلات الهندية

٢١- على أعتاب الهملايا.
٢٢- بلاد الهند والسند : باكستان.
٢٣- في الشمال الغربي من الهند.
٢٤- في أقصى شرق الهند.
٢٥- وسط الهند.

الرحلات الآسيوية

٢٦- رحلات في بلاد الملايو.
٢٧- في مهد الترك : تركستان الشرقية.
٢٨- في أحناء إندونيسيا.
٢٩- في شمال شرق آسيا.
٣٠- جمهورية قازاغستان : ملخص تاريخي ومشاهدات ميدانية.
٣١- إلى تاجيكستان، ثانية.
٣٢- قازاغستان بعد أوزبكستان وتاجيكستان.

رحلات في القارة الأمريكية الجنوبية

٣٣- الحل والرحيل في بلاد البرازيل.
٣٤- رؤية جديدة للجانب الأبعد من أمريكا الجنوبية.
٣٥- رحلة الجنوب.
٣٦- شمال البرازيل.
٣٧- وسط البرازيل.
٣٨- فنزويلا وترينداد.
٣٩- رحلات فنزويلية.

رحلات في أمريكا الشمالية

٤٠- وراء العمل الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية.
٤١- تلبية النداء لزيارة كندا.

الرحلات الصينية

٤٢- في وسط الصين.

الرحلات الكاريبية

٤٣- المارتينيا، وبربادوس.
٤٤- دومنيكا وقواديلوب وأنتيغوا.
٤٥- بورتوريكو وجامايكا وجزر الدومنيكان.

رحلات بلقانية

٤٦- كرواتيا وسلوفينيا.

أستراليا وجنوب المحيط الهادي.

٤٧- في شمال أستراليا.
٤٨- في جنوب أستراليا.
٤٩- في شرق أستراليا.
٥٠- في غرب أستراليا.
٥١- غينيا الجديدة آخر الغينيات زيارة.
٥٢- الإلمام بالمحيط الهادي من أستراليا إلى جزيرة قوام.

رحلات في جمهورية الموز

٥٣- بلاد المكسيك وقواتيمالا.
٥٤- السفر والأوبة من كوبة.
٥٥- التشريق بعد التغريب، في بحر الكاريب.

الرحلات الروسية

٥٦- جمهورية القبائل الروسية.
٥٧- إلى الشرق الأقصى الروسي.
٥٨- مقال في السفر إلى منطقة الأورال.

الرحلات السيبيرية

٥٩- غرب سيبريا.
٦٠- شرق سيبريا.

Dar Altholothia
SR 10.00

مطبعة النرجس - ت، ٢٣١٦٦٥٣ ف، ٢٣١٦٨٦٦